مَاذَا قَالُوا عِنْدَ الاِحْتِضَارِ؟

كَتَبَتْهُ
فَوْزِيَّة الخليوي

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

ماذا قالوا عند الاحتضار؟

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

الناشر

دار الصميعي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام
ص ب: ٤٩٦٧ - الرياض ١١٤١٢
هاتف : ٤٢٥١٤٥٩ - ٤٢٦٢٩٤٥ فاكس ٤٢٤٥٣٤١
عنيزة: أمام جامع الشيخ ابن عثيمين هاتف ٠٦/٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٠٦/ ٣٦٢١٧٢٨

مَاذَا قَالُوا عِنْدَ الاحْتِضَارِ؟

كَتَبَتْهُ
فَوْزِيَّة الخليوي

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مَاذَا قَالُوا عِنْدَ الِاحْتِضَارِ؟

- احتضار الرسول ﷺ.
- احتضار الخلفاء الراشدين.
- احتضار الصحابة.
- احتضار التابعين.
- احتضار الشهداء.
- احتضار المحدثين.
- احتضار الفقهاء.
- احتضار القُرَّاء.
- احتضار الصالحين.
- احتضار الخلفاء، والأمراء، والوزراء.
- احتضار النِّساء.
- احتضار الشُّعراء وأهل اللغة.
- احتضار أهل الضَّلَالة.

الْمُقَدِّمَـةُ

اعلم أن الموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها أكره وأبشع!! وأنه الحارث الأهدر للَّذَّات، والأقطع للرَّاحات، والأجلب للكريهات، فإن أمرًا يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك ـ لَهُوَ الأمر العظيم، والخطب الجسيم، وإن يومه لهو اليوم العظيم(١).

* * *

❑ تَعْرِيفُ الْمَوْتِ:

قال العلماء: هو انقطاع تعلُّق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدُّل حال، وانتقال من دارٍ إلى دار، وهو من أعظم المصائب.

وقد سماه اللَّه ـ تَعَالَى ـ مصيبة في قوله: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: ١٠٦].

وقال الحكماء: أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء.

وقالوا: كل شيء يبدو صغيرًا ثم يكبر إلا المصيبة؛ فإنها تبدو

(١) «التذكرة في أحوال الآخرة» للقرطبي (٢٨).

عظيمة ثم تصغر(١).

وقد وصف اللَّه شدَّة الموت في أربع آيات:

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [القيامة: ٢٦].

❑ سَبَبُ اخْتِيَارِي لِلْمَوْضُوعِ:

١ ـ أن وقت الاحتضار هو أثمن الأوقات في حياة الإنسان.

٢ ـ حرص المؤلفين والمؤرخين على نقل ما قاله الْمُتَرْجَمُ له قُبَيْلَ وفاته.

٣ ـ تسلية لمن أصيبوا بمصيبة الموت بِفَقْدِ حَبِيبٍ وعزيز، وتثبيتًا لهم، فيعلم أنها سُنَّةٌ كونية.

٤ ـ رَكَّزَ الشَّارع الحكيم على هذه اللَّحظات، وَبَيَّن قيمتها: إما بالنطق؛ كقوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢).

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبدربه (٣، ٢٢٨).

(٢) رواه أبو داود «صحيح الجامع» (٦٤٧٩).

أو بالتلقين: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[١].

وجعل مناط الأعمال عليها؛ فعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»[٢].

٥ـ تأكيدًا لوقوع حسن الخاتمة في حق الصالحين، وذكر أحوالهم قبل الموت، وترغيبًا في سؤال اللَّه حسن الخاتمة.

٦ـ أخذ العظة والعبرة من نَدَمِ بعض أصحاب الأموال، والظلمة، وأهل الضلالة، وَتَعَوُّذًا من سوء الخاتمة.

* * *

(١) رواه مسلم «مختصر مسلم» (٤٥٣).

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٣).

فَصْلٌ

عِنَايَةُ السَّلَفِ بِالْمَوْتِ وَالِاسْتِعْدَادُ لَهُ

١ـ حُضُورُ مَجَالِسِ الْوَعْظِ وَتَذَكُّرُ الْمَوْتِ:

قال الرسول ﷺ: «**أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ!**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هَادِمُ اللَّذَّاتِ؟ قَالَ: «**الْـمَوْتُ**».

قال القرطبي: ذِكْرُ الموتِ يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتين (ضيق وسعة) أو (نعمة ومحنة)؛ فإن كان في حال ضيق ومحنة، فَذِكرُ الموتِ يسهل عليه بعض ما هو فيه؛ فإنه لا يدوم ـ هذا الحال ـ والموتُ أصعبُ منه!!.

وإن كان في حال نعمة وسعة، فَذِكْرُ الموتِ يمنعه مِنَ الاغْتِرَارِ بها والسكون إليها[١].

كان بعض الصالحين ينادي بِلَيْلٍ على سور المدينة: الرحيل الرحيل.. فلما توفي فَقَدَ صَوْتَهُ أميرُ المدينة فسأل عنه، فقيل: إنه قد

---

(١) «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» للقرطبي (٩).

مات. فقال:

مَا زَالَ يَلْهَجُ بِالرَّحِيلِ وَذِكْرِهِ حَتَّى أَنَاخَ بِبَابِهِ الجُمَّالُ
فَأَصَابَهُ مُتَيَقِّظًا مُتَشَمِّرًا ذَا أهبةٍ لَمْ تُلْهِهِ الآمَالُ

* * *

كان عطاء السليمي يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتِي فِي الدُّنْيَا، وَارْحَمْ مَصْرَعِي عِنْدَ المَوْتِ، وَارْحَمْ قِيَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ**»[١].

محمد بن النضر ـ عابد الكوفة ـ، كان إذا ذكر الموت اضطربت مَفَاصِلُهُ[٢].

قال أبو الدرداء: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ المَوْتِ قلَّ فَرَحُهُ، وقلَّ حَسَدُهُ[٣].

* * *

عن ثابت البناني كان يقول: مَا أَكْثَرَ أحدٌ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ؛ إلَّا رُئِيَ ذلك في عَمَلِهِ[٤].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦، ٨٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨، ١٧٦).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٣٥٣).
(٤) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢، ٣٢٤).

٢- زِيَارَةُ الْمَرْضَى وَأَهْلِ الاِبْتِلَاءِ:

لا يَخْفَى ما في زيارة المرضى وأهل الابتلاء، والنظر إلى أحوالهم مِنْ تذلُّل المرء لله وشكره لِنِعَمِهِ عليه وعافيته، ومعرفة عظيم فضله وَمَنِّهِ!!.

مَرَّ الربيعُ بن أبي راشد بِرَجُلٍ به زَمَانَةٌ ـ عاهة ـ، فجلس يَحْمَدُ اللَّه ويبكي!!

قيل له: ما يبكيك؟

قال: ذكرت أهلَ الجنة وأهل النار!! فشبهت أهل الجنة بأهل العافية، وأهل النار بأهل البلاء؛ فذلك الذي أبكاني(١).

* * *

قال سلام بن أبي مطيع: دخلتُ على مريض أَعُودُهُ فإذا هو يَئِنُّ، فقلت له: اذْكُرِ المطروحين على الطريق!! اذكر الذين لا مَأْوَى لهم ولا لهم مَنْ يخدمهم!! قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك فَسَمِعْتُهُ يقول لنفسه: اذكري المطروحين على الطريق!! اذكري الذين لا مأوى لهم، ولا لهم من يخدمهم!!(٢).

---

(١) «عدة الصابرين» لابن القيم (١٦٦).

(٢) «عدة الصابرين» لابن القيم (١٧٤).

جاء رجلٌ إلى يونس بن عبيد يشكو ضِيقَ حَالِهِ، فقال له يونس: أيسرك ببصرك هذه مئة ألف درهم؟

قال الرجل: لا.

قال: فبيدك هذه مئة ألف؟

قال: لا.

قال: فبرجلك هذه مئة ألف درهم!

قال: لا.

قال: فَذَكَّرَهُ نِعَمَ اللَّه عليه. فقال يونس: أرى مِئِينَ الألوف وأنت تشكو الحاجة[١].

* * *

٣ـ مُشَاهَدَةُ الْمُحْتَضِرِينَ:

قال القرطبي: فإِنَّ في مشاهدة المحتضرين، والنظر إلى الميت، ومشاهدةِ سَكَرَاتِهِ ونزعاته، وتأمُّلِ صورته؛ ما يقطع عن النفوس لذَّاتِهَا، ويطرد عن القلوب مسراتِها، ويمنع الأجفانَ مِنَ النَّوْمِ، والأبدانَ مِنَ الرَّاحةِ.

---

(١) «عدة الصابرين» لابن القيم (١٦٧).

يُرْوَىٰ أن الحسن البصري دخل على مريضٍ يَعُودُهُ، فوجده في سكرات الموت؛ فنظر إلى كَرْبِهِ وَشِدَّةِ ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللَّون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله!

فقال: يا أهلاه؛ عليكم بطعامكم وشرابكم، فواللَّه لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاهُ[١].

* * *

وقد تمثل هذا المنظرَ الشعراءُ في أشعارهم في وَصْفِ الموت:

قال أبو العتاهية:

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا
وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّا
كَأَنْ قَدْ صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا
وَمُرْتَهِنًا هُنَاكَ بِمَا لَدَيَّا
كَأَنَّ الْبَاكِيَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا
وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا

(١) «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» للقرطبي (١٤).

ذَكَرتُ مَنِيَّتِي فَنَعَيتُ نَفسِي
أَلَا أَسْعِدْ أَخِيكَ يَا أُخَيَّا(١)

وقال ابن عبد ربه:

مَنْ لِي إِذَا جِدْتُ بَيْنَ الأَهْلِ وَالْوَلَدِ
وَكَانَ مِنِّي نَحْوُ الْمَوْتِ قَيْدَ يَدِ
وَالدَّمْعُ يُهْمِلُ وَالأَنْفَاسُ صَاعِدَةٌ
فَالدَّمْعُ فِي صَبَبٍ وَالنَّفْسُ فِي صَعَدِ(٢)

* * *

ومما يُؤْثَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ في الدُّخُولِ على المحتضرين:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه؛ إن ابنًا لي قبض، فَأْتنا. فأرسل يُقرئ السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمى، فلتصبرْ ولتحتسب**»، فأرسلت إليه تقسم عليه لَيَأْتِيَنَّهَا، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبيُّ،

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣، ١٨٨).

(٢) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣، ١٩٦).

وَنَفْسُهُ تتقعقع، قال: حَسِبْتُهُ أنه قال: «**كَأَنَّها شَنٌّ**» ففاضت عيناه، فقال سعدٌ: يا رسول اللَّه ما هذا؟ فقال: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جعلها اللَّه في قلوب عباده، وإنما يَرْحَمُ اللَّه عباده الرُّحَمَاء**»(١).

* * *

عن عبدالرحمن بن عوف قال: دخلنا على إبراهيم ابن رسول اللَّه وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول اللَّه ﷺ تَذْرِفَان، فقال عبدالرحمن بن عوف: وأنت يا رسول اللَّه!

فقال: «**يَا ابْنَ عَوْف إِنَّهَا رَحْمَةٌ**»، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «**إِنَّ الْعَيْـنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»(٢).

٤ـ الاِسْتِعْدَادُ بِالْكَفَنِ وَغَيْرِهِ وَكُلُّ مَا مِنْ شَأْنِهِ تَرْقِيقُ الْقُلُوبِ:

لقد بوَّب البخاري: باب من استعَدَّ الكفن في زمن النبي فلم ينكر عليه:

عن سهل أن امرأة أهدت النبيَّ ﷺ بردةً، وكان النبي ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وهي إزارهُ فحَسَّنَهَا فلانٌ، فقال: اكْسُنِيهَا، ما

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز: (١٢٠٤).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣).

أحسَنَها!! قال القوم: ما أحسنت! لَبِسَهَا النبيُّ ﷺ محتاجًا إليها، ثم سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أنه لا يَرُدُّ. قال: إني والله ما سَأَلْتُهُ لألبسها، وإنما سألته لتكون كفني!!

قال سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ!!(١).

* * *

إن خباب كان قد اكتوى سبعًا... ثم أُتِيَ بكفنه، فلما رآه بكى، فقال: لكن حمزة لم يوجد له كفن إلا بردة ملحاء إذا جعلت على رأسه قلصت عن قدميه، وإذا جعلت على قدميه قلصت عن رأسه(٢).

* * *

قالت زينب بنت جحش رضي الله عنها حين حضرتها الوفاة:

إني أعددت كفني، فإن بعث لي عُمَرُ بكفنٍ، فتصدقوا بأحدهما(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٢١٨).

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١، ١٤٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/٢١٦).

٥ـ الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ:

كان عمر بن ذر ـ أول ما يَجْلِسُ يَقُصُّ ـ يقول: أعيروني دموعكم! فإذا قاموا من عنده قال لهم الشعبي: أعرتموهُ دموعكم!(١).

عن ابن عبيدة: أن نفرًا اجتمعوا في حجرة صفية بنت حيي رضي الله عنها، فذكروا اللَّه وتلوا القرآن، وسجدوا!!

فنادتهم صفية: هذا السجود وتلاوة القرآن، فأين البكاء؟!.

* * *

إن أُمَّ الرَّبيع كانت تنادي ابنها ـ لما رأت ما يَلْقَى من البكاء والسَّهر ـ فتقول: يا بني! لعلك قتلت قتيلًا؟

قال: نعم!

قالت: ومن هذا؟ حتى نتحمل على أهله فيعفون!! واللَّه لو يعلمون ما تلقى من البكاء والسهر؛ لرحموك!!

فقال: هي نفسي!(٢).

* * *

كان ابنُ عُمَرَ إذا قرأ آية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٥، ١١٢).

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/١١٤).

لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ بَكَىٰ حَتَّى يَغْلِبُهُ البكاءُ[١].

٦ـ غُسْلُ الأَمْوَاتِ، وَالنَّظَرُ إِلَى الجَنَائِزِ، وَالصَّلَاةُ عَلَيْهَا:

قال المزني: تعانيت غسل الموتى؛ ليرق قلبي، فصار لي عادةً، وهو الذي غسَّل الشافعي[٢].

ولقد بوَّب البخاري: باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانهِ.

أقبل أبو بكر الصديق على فَرَسِهِ من مَسْكَنِهِ بالسُّنْح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يُكَلِّمِ الناس حتى دخل على عائشة، فتيمَّم النبي ﷺ وهو مسجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله، ثم بكى...[٣].

* * *

لما توفي عثمان بن مظعون وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ في أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رسول الله[٤].

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١، ٣، ٥).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ٤٩٥).
(٣) رواه البخاري (فتح ٣، ١٢٤١).
(٤) رواه البخاري (فتح ٣، ١٢٤٣).

أما في النظر إلى الجنائز، فقد قال النبي ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ؛ فَقُومُوا فَمَنْ تبِعَهَا فَلَا يَقْعُدْ حَتَّى تُوْضَعَ**»(١).

* * *

٧- سَمَاعُ الْمَرَائِي:

أبي ذؤيب الهذلي يحكي موتَ أبنائهِ الخمسة:

وَلَقَدَ حَرَصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ فَإِذَا الْـمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمُ كَأَنَّ حِدَاقَهَا سُلِمَتْ بِشَرُكٍ، فَهِي عُورٌ تَدْمَعُ

* * *

قصيدة أبي الحسن التهامي:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
بَيْنَا يَرَى الإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا
حَتَّى يَرَى خَبَرًا مِنَ الأَخْبَارِ

---

(١) رواه البخاري (فتح ٣، ١٣١٠).

يَا كَوْكَبًا مَا كَانَ أَقْصَر عُمُرِهِ
وَكَذَاكَ عُمْرُ كَوَاكِبِ الأَسْحَارِ
وَهِلَالُ أَيَّامِ مَضَى لَمْ يُسْتَدَر
بَدْرًا وَلَمْ يُمْهَلْ لِوَقْتِ سِرَارِ
عَجِلَ الخُسُوفُ عَلَيْهِ قَبلَ أَوَانِهِ
فَمَحَاهُ قَبْلَ مَظَنَّةِ الأَبْدَارِ

* * *

احْتِضَارُ الرَّسُولِ ﷺ

لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ
عَشِيَّةَ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواهُ الذي قُبِضَ فيه، فَسَارَّها بِشَيءٍ فَبَكت، ثم دعاها، فَسَارَّها بشيء فَضَحِكَتْ، قالت: فسألتها عن ذلك، فقالت: سارَّني النبيُّ ﷺ فأخبرني أنه يُقْبَضُ في وَجَعِهِ الذي تُوفِّيَ فيه؛ فبكيتُ؛ ثم سَارَّني، فأخبرني أني أوَّلُ أهل بيته أتبعُهُ؛ فضحكت!!. وقالت: كان رسول اللَّه يقول ـ وهو صحيح ـ: «**إِنَّه لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثم يُخَيَّرُ**»، فلما نزل به وَرَأْسُهُ علىٰ فخذي، غُشِي عليه ساعة، ثم أفاق فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ ثم قال: «**اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**» قلت: إذًا لا يختارنا. وعلمت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلَّم بها النبي ﷺ.

عن عائشة قالت: دخل عبدالرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مُسْنِدَتُهُ إلى صدري ومع عبدالرحمن سواكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ به، فَأَبَدَّهُ رسولُ اللَّه بَصَرَهُ فَأَخَذْتُ السواك فَقَصَمْتُهُ وَنَفَضْتُهُ وطيَّبته، ثم

دفعته إلى النبي ﷺ فاستنَّ به، فما رأيتُ رسول اللَّه استن استنانًا قطُّ أَحْسَنَ منه، فما عدا أن فَرَغَ رسولُ اللَّه ﷺ رَفَعَ يَدَهُ، أو إِصْبَعَهُ، ثم قال: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى ثَلَاثًا**»، ثم قَضَىٰ، وكانت تقول: مات بين حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي[١].

وكانت عائشة تقول: إن رسولِ اللَّه لما دخل بيتي واشتدَّ به وَجَعُهُ قال: «**هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ**»، فأجلسناهُ في مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زوج النبي ﷺ، ثم طَفِقْنَا نَصُبُّ عليه من تلك القِرَبِ حتى طَفِقَ يشير إلينا بيده أن قد فَعَلْتُنَّ.

قالت: ثم خرج إلى الناس فصلَّى بهم وَخَطَبَهُم. وقالت ـ أيضًا ـ: لما نزل برسول اللَّه طَفِقَ يطرحُ خَمِيصَةً له على وَجْهِهِ، فإذا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عن وجهه، وهو كذلك يقول: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[٢].

* * *

---

(١) البخاري، المغازي (٤١٧٤).

(٢) البخاري، المغازي (٤١٧٩).

احْتِضَارُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

أَرَى الْـمَوْتَ لَا يُبْقِي عَزِيزًا وَلَمْ يَدَعْ
لِـعَـادٍ مَـلَاذًا فِي الْـبِـلَادِ وَمَـرْتَـعِ

مرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعادوه، فقالوا: ألا ندع لك الطبيب؟ قال: قد رآني، قالوا: فَأَيُّ شيء قال لك؟ قال: «**إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيد**»(١).

وقالت عائشة لأبوها وهو يغمض في مرض موته:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

فنظر إليَّ كالغضبان وقال: ذلك رسول اللَّه!! ثم أُغمي عليه، فقالت:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى
إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

وَقَال لي: قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٢).

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (ج١) (٣٤)..

(٢) «العقد الفريد» لابن عبدربه (ج ٣) (٢٣٢).

ثم قال: انظروا ملائتين خَلَقين فاغسلوهما، وكفنوني فيهما؛ فإن الحي أحوج إلي الجديد من الميت. وسأل عائشة في أيِّ يومٍ هذا؟ قالت: يوم الاثنين. قال: أرجو فيما بيني وبين الليل[1].

* * *

كان عمر بن الخطاب ربما قرأ في الركعة سورة يوسف أو النَّحل، حتى يجتمع الناس، فما هو إلَّا أن كَبَّرَ فقال: قَتَلني الكلب!! حين طعنهُ، فطار العِلْجُ بسكِّين ذات طَرَفَيْنِ لا يَمُرُّ على أحد يمينًا ولا شمالًا إلا طَعَنَهُ حتى طعن ثَلَاثَةَ عَشَرَ رجلًا، مات منهم سبعةٌ، فلما رأىٰ ذلك رجلٌ من المسلمين، طرح عليه بُرْنُسًا، فلما ظن العِلْجُ أنه مأخوذٌ نَحَرَ نفسه!! فتقدم عبدالرحمن بن عوف فصلَّى بالناس صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس!! انْظُرْ مَنْ قتلني. فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة!! قال: الصَّنَعُ!! قال: نعم، قال: قَاتَلَهُ اللَّه، لقد أمرتُ به معروفًا، الحمدُ للَّهِ الذي لم يجعل مِيتتي بيد رجل يدَّعِي الإسلام، فاحتمل إلى بيته فَأُتِيَ بنبيذٍ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتي بلبنٍ فشربهُ فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت![2].

* * *

(١) رواه البخاري (١٣٢١).

(٢) رواه البخاري الفضائل (١٣٥٤).

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَيْقَنَ أَنَّ اللهَ لَيسَ بِغَافِلِ
وَقَالَ لِمَنْ فِي دَارِهِ لَا تُقَاتِلُوا عَفَا اللهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلِ

عثمان بن عفان قبل مَقْتَلِهِ ـ والناس في الخارج يقتتلون ـ صَلَّى وجلس، وبين يديه المصحف، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، فدخل عليه أحدهم وقطع يده، فقال عثمان: واللّه إنها أول يد كتبت المفصل!! فكان أول قطرة دم سقطت على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

ضَحَّوْا بأشمط عُنْوَانُ السُّجودِ بِهِ
يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

* * *

عندما ضَرَبَ ابْنُ ملجم عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه حُمِلَ إلى منزله وَحُمِلَ إليه ابن ملجم، فَأُوقف بين يديه، فقال: أي عدو اللّه ألم أحسن إليك؟! فقال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟! قال:

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (ج٧) (١٩٦). قال ابن كثير: هذه الرواية ثبتت من غير وجه.

شحذته أربعين صباحًا، وسألت اللَّه أن يقتل به شر خلقه!! فقال له علي: لا أراك إلا مقتولًا به، ولا أراك إلا من شر خلق اللَّه!!.

ثم قال علي: إن متُّ فاقتلوه، وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به. فقال جندب بن عبداللَّه: أي أمير المؤمنين إن متَّ نبايع الحسن؟ قال: لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر. ولما احْتُضِرَ عليٌّ جعل يكثر من قول: لا إله إلا اللَّه. لا يتلفظ بغيره، وقيل: إن آخر ما تكلم به: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1].

* * *

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (ج٧) (٣٣٩).

احْتِضَارُ الصَّحَابَةِ

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي
عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

❑ احْتِضَارُ أَبِي مُوسَى:

اجتهد أبو موسى الأشعريُّ قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسكت ورفقت بنفسك!! قال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجلي أقل من ذلك!![(١)].

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي ذَرٍّ:

إن أبا ذر حضره الموت بالرَّبَذَةِ، فبكت امرأته!! فقال: ما يُبكيكِ؟ قالت: أبكي أنه لا بُدَّ من تغييبك، وليس عندي ثَوْبٌ يَسَعُكَ كفنًا!! قال: لا تَبْكِي؛ فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ ذات يوم - وأنا عنده في نفر - يقول: «لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ، تَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٣٩٣).

الْمُسْلِمِينَ». فكلهم مات في جماعة وقربة، فلم يبق غيري؛ وقد أصبحتُ بالفلاة أموت!! فراقبي الطريقَ، فإنك سوف تَرين ما أقول، مَا كَذَبتُ ولا كُذبتُ. قالت: وَأَنَّىٰ ذلك وقد انقطع الحاج!! قال: راقبي الطريق. فبينا هي كذلك؛ إذ هي بالقوم تَخُبُّ بهم رُوَاحِلُهُم، كأنهم الرَّخَم، فأقبلوا حتى وقفوا عليها. قالوا: مَا لَكِ؟ قالت: رجلٌ من المسلمين، تُكفنونه وَتُؤْجَرُونَ فيه! قالو: ومن هو؟ قالت: أبو ذر! فَفَدَّوْهُ بآبائهم وأمهاتهم، ووضعوا سياطهم في نحورها يبتدرونه[(١)].

❑ احْتِضَارُ حُذَيْفَةَ:

إن حذيفة عند موته لما كان عند السَّحَرِ، قال: أعوذ باللَّه من صباحٍ إلى النار ـ ثلاثًا ـ!! ثم قال: اشتروا لي ثوبين أبيضين؛ فإنهما لن يُتْرَكَا عليَّ إلا قليلًا حتى أُبْدَلَ بهما خيرًا منهما أو أُسْلِبَهُمَا سلبًا قبيحًا، وقال: ابتاعوا لي كفنًا. فجاءُوا بُحُلَّةٍ ثمنها ثلاث مئة، فقال: لا؛ اشتروا لي ثوبين أبيضين[(٢)].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٧٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٣٦٨).

❑ احْتِضَارُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ:

لما نزل الطاعون بالشَّام، دعا معاذُ بن جبل: «**اللَّهُمَّ آتِ آلَ مُعَاذٍ النَّصِيبَ الأَوْفَرَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ**» فما أمسىٰ حتى طُعِنَ ابنُهُ عبدُالرحمن، الذي كان به يُكَنَّى، وأحب الخلق إليه، فرجع من المسجد فوجدهُ مكروبًا، فقال: يا عبدالرحمن كيف أنت؟ قال: يا أبت ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ فقال معاذ: «**وَأَنَا ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ سَتَجِدُنِي مِنَ الصَّابِرِينَ**»، فأمسكه ليلة، ثم دفنه من الغد، فَطُعِنَ معاذ، فقال ـ حين اشتد به النزعُ وكان كلما أفاق من غمرة فتح عَيْنَهُ ـ: رَبِّ! اخنقني خنقتك، فَوَعِزَّتِكَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكَ!![1].

* * *

❑ احْتِضَارُ أبي الدَّرْدَاءِ:

لما احْتُضِرَ أبو الدرداء، جعل يقول: مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا، مَنْ يَعْمَل لِمِثْلِ مَضْجَعِي هَذَا؟[2].

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١، ٢٤٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٣٥٢).

❑ احْتِضَارُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ:

دخل أحدُهم على عبادةَ بنِ الصامت وهو في الموت، فبكى، فقال: مهلًا لم تبكي؟!! فواللَّه لئن استشهدتُ لأشهدنَّ لكَ، ولئن شفعتُ لأشفعنَّ لك، ولئن استطعتُ لأنفعنك. ثم قال: واللَّهِ مَا مِنْ حديثٍ سَمِعْتُهُ من رسول اللَّه لكم فيه خَيْرٌ إلَّا حدثتكموهُ إلَّا حديثًا سمعته من رسول الله، وسأحدثكموهُ اليومَ، وقد أحيط بِنَفْسِي، سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»**[1].

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي هُرَيْرَةَ:

إن أبا هريرة بكى في مرضه، فقيل: ما يُبكيكَ؟ قال: مَا أَبْكِي عَلَىٰ دُنْيَاكُم هذه، ولكن على بُعْدِ سفري، وَقِلَّةَ زادي، فإني أمسيت في صعود، ومهبطه على جَنَّة أو نَارٍ، فلا أدري أيهما يؤخذ بي.

ودخل مروان على أبي هريرة في شكواه، فقال: شفاك اللَّه يا أبا هريرة! فقال: اللَّهمَّ إني أُحِبُّ لِقَاءَكَ، فَأَحِبَّ لِقَائي!!. فما بلغ مَرَوَانُ

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١، ٩٥).

السوقَ حتى مات!![(١)].

* * *

❑ احْتِضَارُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ:

إِنَّ خَالِدَ بنَ الوليد لما احْتُضِرَ بكى، وقال: لقيت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبرٌ إلَّا وفيه ضربةٌ بسيفٍ، أو رميةٌ بسهم، وها أنا أموتُ على فراشي حَتْفَ أَنفي كما يموت العير ـ الحمار ـ، فلا نَامَتْ أَعْيُنُ الجبناء[(٢)].

* * *

❑ احْتِضَارُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ:

عن زوجة سلمان الفارسي: لما حضر سلمانَ الموتُ، دعاني وهو في عِلِّيَّةٍ لها أربعةُ أبوابٍ، فقال: افتحي هذه الأبواب يا بقيرة؛ فإن لي زوارًا اليوم، لا أدري مِنْ أَيِّ هذه الأبواب يدخلون علي!! ثم دعا بِمِسْكٍ له، ثم قال: أوخِفيهِ في تَوْرٍ. ففعلت، ثم قال: انْضَحِيهِ حول فراشي، ثم انزلي، فامكثي، فسوف تطلعين فترينني على فراشي.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٦٥٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣٨٢/١).

فاطَّلعتْ فإذا هو قد أخذ روحه، فكأنه نائمٌ على فراشه(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ الحَسَنِ:

لما احتُضِرَ الحسن بنُ علي، قال: أَخرجوا فراشي إلى الصحن، فأخرجوهُ، فقال: اللَّهم إني أحتسبُ نفسي إليك، فإنها أعزُّ الأنفسِ عَلَيَّ. وقال للحسين: ادفنِّي عند أبي - يعني النبيَّ ﷺ - إلا أَنْ تخافوا الدماءَ، فادفنِّي في مقابر المسلمين(٢).

وقال أبو نعيم: لما اشتد بالحسن الوجَعَ، جَزِعَ، فدخل عليه رجلٌ فقال: يا أبا محمد ما هذا الجزع !! ما هو إلا أن تفارقَ رُوحُكَ جَسَدَكَ، فَتَقْدُمَ على أَبَوَيْكَ: علي، وفاطمة، وعلى جَدَّيْكَ: النبي ﷺ، وخديجة، وعلى أَخْوالِكَ: القاسم الطيب، ومطهر، وإبراهيم، وعلى أَعْمَامِكَ: حمزة، وجعفر، وعلى خَالَاتِكَ: رقية، وأم كلثوم، وزينب!! فَسُرِّي عنه.

وقيل: إنه قال: إني أدخل في أمرٍ من أمرِ اللَّه لم أَدْخُلْ في مثله، وأرى خلقًا من خلق اللَّه لم أرَ مثله قط.

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١، ٢٠٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣، ٢٧٥).

قال: فبكى الحسين[١].

* * *

❑ احْتِضَارُ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ:

عَادَ خبابُ بنُ الأرتِّ نَفرًا من أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: أبشر يا أبا عبدالله إخوانك تقدم عليهم غدًا!! قال: فبكى، وقال: أما إنه ليس بي جزعٌ، ولكنكم ذكرتموني أقوامًا وسميتم لي إخوانًا، وإن أولئك قد مضوا بأجورهم كلهم، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا به[٢].

* * *

❑ احْتِضَارُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ:

لما احتضر عبدالله بن عمر قال: ما آسى على شيء من الدُّنيا إلَّا على ثلاثٍ: ظمإِ الهواجر، ومكابدةِ اللَّيل، وأني لم أقاتل الفئة الضالة التي نزلت بنا[٣].

* * *

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١/١٤٥).
(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١، ١٤٥).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣، ٩).

❏ احْتِضَارُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ:

عن عبداللَّه بن عامر بن ربيعة لما طَعَنَوا على عثمان، صَلَّى أبي في اللَّيل فقال: اللَّهم قِني من الفتنة بما وَقَيتَ به الصالحين من عبادك. فما أخرج ولا أصبح إِلَّا بجنازته[١].

* * *

❏ احْتِضَارُ أَبِي بَكْرَةَ:

لما شتكى أبو بكرة عَرَضَ عليه بنوهُ أن يأتوهُ بطبيبٍ، فَأَبَى، فلما نزل به الموت قال: أين طبيبكم؟! لِيَرُدَّهَا إن كان صادقًا[٢].

* * *

❏ احْتِضَارُ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ:

وكان شيخًا كبيرًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وكان يحب أن يقبض إليه، وكان يدعو: **«اللَّهُمَّ كَبِرَتْ سِنِّي، وَوَهَنَ عَظْمِي، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ»**[٣].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣، ٩).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٣٣٥).
(٣) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٤/٢).

❑ احْتِضَارُ أَبِي ثَعْلَبَةَ:

إن أبا ثعلبة الخشني قال: إني أرجو أن لا يخنقني اللَّه عَزَّ وَجَلَّ كما أراكم تُخْنَقُونَ عند الموت، فبينا هو يُصَلِّي في جوف الليل، قبض وهو ساجد، فَرَأَتْ ابنتُهُ أن أباها قد مات، فاستيقظت فَزِعَةً، فنادت أُمَّهَا أين أبي؟ قالت: في مصلاهُ! فنادته، فلم يجب، فأيقظته فوجدته ميتًا(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصَ:

عن مصعب بن سعد قال: كان رأس أبي في حجري وهو يَقْضِي فبكيت، فقال: ما يبكيك؟! واللَّه إن اللَّه لا يعذبني أبدًا، وإني من أَهْلِ الجنة، إن اللَّه لَيَدِينُ للمؤمنين بحسناتهم، فاعملُوا للَّه، وإن الكفار لَيُخَفِّفُ عنهم بحسناتهم. فإذا نفذت، قال: ليطلب كل عامل ثواب عمله.

* * *

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٣/٢).

احْتِضَارُ التَّابِعِينَ

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي
عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

❑ احْتِضَارُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ:

قال القاسم لابنه: سن عَلَيَّ التراب سنًّا، وَسَوِّ عَلَيَّ قبري، وألحق بأهلك، وإياك أن تقول: كان وكان(١).

وقال: كفنوني في ثيابي التي كنت أُصَلِّي فيها (قميصي وردائي) هكذا كُفِّنَ أبو بكر. وأوصى أن لا يُبْنَى على قبره(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ نَافِعٍ:

عن نافع مولى ابن عمر ـ مفتي المدينة ـ: لما احتضر بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: ذكرت سعدًا وضغطة القبر(٣).

* * *

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/١٨٤).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/٢٣٢).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٥٩).

❑ احْتِضَارُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ:

دخل أحدهم على سعيد بن المسيب في مرضه وهو مضطجع، فسأله عن حديث، قال: أقعدوني. فأقعدوه، قال: إني أكرهُ أن أُحَدِّثَ بحديثِ رسول اللَّه وأنا مضطجع!![1]. ولما اشتد وَجَعُهُ، دخل عليه نافع بن جبير يعودهُ، فأُغمي عليه، فقال: وَجِّهُوهُ للقبلة. ففعلوا، فأفاق، فقال: مَنْ أَمَرَكُم أن تُحَوِّلُوا فراشي للقبلة، أنافع؟ قالوا: نعم. قال سعيد: لئن لَمْ أَكُنْ على القِبْلَة والملَّة، واللَّه لا ينفعني توجيهُكم فراشي!! وكان قد ترك دنانير، فقال: اللَّهم إنك تعلم أني لَمْ أَتْرُكْهَا إلا لِأَصُونَ بها حَسبِي وديني!! وقال: يا زرعة! إني أشهدك على ابني محمد، لا يؤذنن بي أحدًا، حسبي أربعة يحملوني إلى ربِّي!![2].

* * *

❑ احْتِضَارُ عَامِرِ بْنِ عَبْدِالْقَيْسِ:

إنه مرض فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ وقد كُنتَ وكنت؟ فقال: ما لي لا أبكي، وَمَنْ أَحَقُّ بالبكاء مني، وواللَّه ما أبكي حرصًا على

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/١٩٦).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤، ٢٤٤).

الدُّنيا، ولا جزعًا مِنَ الموت، ولكن على بُعْدِ سفري، وَقِلَّةِ زَادِي، وإني أمسيت في صعودٍ، وهبوط جَنَّةٍ أو نَارٍ، فلا أدري إلى أيهما أصير!![(١)].

* * *

❑ احْتِضَارُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ:

عن هشام بن عروة أن أباهُ مات وهو صائم، فجعلوا يقولون له: أفطر. فلم يُفْطِر[(٢)].

❑ احْتِضَارُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ:

دخل نَاسٌ مِنَ القرَّاء ـ منهم هرمز وصالح مولى التوءمة ـ على سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ـ قاضي المدينة ـ وهو يحتضر، فاغرورقت عينا ابن هرمز، فقال له سعد: ما يُبكيكَ؟ فقال: واللَّه لكأني بقائلةٍ غدًا تقولُ: واسعداهُ لِلحَقِّ، ولا سعد!! قال: واللَّه لئن قلتَ ذاكَ، ما أخذني في اللَّه لومةُ لائم منذُ أربعين سنَة، ثم قال: أليس تعلم أنَّك أحبُّ خلقه إليَّ ـ يعني: القرآن ـ[(٣)].

* * *

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢، ٨٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤، ٤٣١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٤٢٠).

❑ احْتِضَارُ كَعْبِ الْأَحْبَارِ:

إن كعب الأحبار لما احتُضرَ قال: أَلا رجلٌ آئتمنُهُ على أمانة؟!

فقال رجلٌ: أنا، فَدَفَعَ إليه ذلك الكتابَ، وقال: اركب البحيرة، فإذا بلغتَ مكان كذا وكذا، فَاقْذِفْهُ.

فَخَرَجَ من عند كعب، فقال: كتابٌ فيه علمٌ، ويموتُ كَعبٌ لا أُفَرِّطُ به، فَأَتَىٰ كعبًا وقال: فعلتُ مَا أمرتَني به!!

قال: فما رأيتَ؟ قال: لَمْ أَرَ شيئًا!! فَعَلِمَ كَذِبَهُ، فلم يَزَلْ يُنَاشِدُهُ ويطلبُ إليه حتَّى رَدَّهُ عليه، فقال: أَلَا مَنْ يُؤَدِّي أمانةً؟!

قال رجلٌ: أَنَا. فركبَ سَفِينَةً، فلمَّا أَتَىٰ ذلك المكان، ذهب لِيَقْذِفَهُ، فَانْفَرَجَ له البحرُ حتَّى رَأَىٰ الأرضَ، فَقَذَفَهُ، وأتاهُ فَأَخْبَرَهُ.

فقال كعب: إِنَّهَا التوراةُ كما أنزلها اللَّهُ على مُوسَى ما غُيِّرت ولا بُدِّلت، ولكن خشيتُ أن يُتَّكَلَ على ما فيها، ولكن قولوا: لا إله إلا اللَّه، وَلَقِّنُوها موتاكم![1].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣، ٤٩٤).

❑ احْتِضَارُ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ:

يونس بن عبيد أَحدُ الأئمة مِنْ صغار التابعين، نظر إلى قَدَمَيْهِ عند الموت، وبكى فقيل: ما يُبكيكَ أبا عبداللَّه؟!

قال: قدماي لم تغبَّر في سبيل اللَّه(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ:

قال حزم القُطَعيُّ: دخلنا على مالك بن دينار، وهو يَكِيدُ بنفسه فرفع طرفه، ثم قال: اللَّهمَّ إنَّكَ تَعْلَم أَنِّي لَمْ أَكن أُحِبُّ البقاءَ لبطن ولا لفرج(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ عَبدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ:

إنَّ عُمَرَ قال لابنه عبدالملك وهو يحتضر: كيف تجدك يا بني؟

قال: أجدني في الموت، فاحتسبني؛ فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّه خَيْرٌ لك مني!!

قال عمر: واللَّه يا بني؛ لأن تكون في ميزاني أحب إليَّ من أن

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦، ٢٩١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٣٦٣).

أكون في ميزانك!!

قال: وأنا واللَّه لأن يكون ما تُحِبُّ، أَحَبُّ إليَّ من أَنْ يَكُونَ ما أُحِبُّ(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ إِبْرَاهِيمَ التَّيمِيِّ:

طلب الحَجَّاجُ إبراهيمَ النَّخعيَّ، فجاء الرسولُ فقال: أريدُ إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم. ولم يستحلَّ أن يدلَّه على النَّخعي، فأمر بحبسه في (الديماس)، ولم يكن لهم ظِلٌّ مِنَ الشمس، ولا كِنٌّ من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغيَّر إبراهيم، فعادته أُمُّه فلم تعرفه، حتى كلَّمها فمات!!

فرأى الحجاجُ في نومه قائلًا يقول: مات في البلد الليلة رَجُلٌ من أهل الجنة!!

فسأل، فقالوا: مات في السجن إبراهيم التيمي. فقال: حُلْمٌ، نَزْغَةٌ من نزعات الشيطان. وأمر به فأُلقي في الكُنَاسة!!(٢).

* * *

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣، ٢٣٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٦٢).

❑ احْتِضَارُ عَلْقَمَةَ:

إن علقمة قال لزوجته في مَرَضِه: تزيني واقعدي عِنْدَ رأسي لعلَّ اللَّه يرزقك بَعْضَ عوادي.

وقال لأسود بن يزيد: إن أنا مت فلقِّني لا إله إلا اللَّه، فإذا أنا مت فلا تنعني لأحد، أخاف أن يكون نعيًا كنعي الجاهلية، فإذا خرجتم بجنازتي من الدار، فأغلقوا الباب حين يخرج آخر الرجال وعلى أول النساء؛ فإنه لا أَرَبَ ـ حاجة ـ لي فيهن[1].

* * *

❑ احْتِضَارُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ:

لما أُتي الحجاجُ بسعيد بن جبير، قال: أنا سعيد بن جبير. قال: أنت شقيُّ بن كُسَير، لأقتلنَّك! قال: فإذًا أنا كما سَمَّتْني أُمِّي. ثم قال: دعوني أُصلِّ ركعتين!! قال: وَجِّهُوهُ إِلَى قِبْلَةِ النَّصَارَىٰ. قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، وقال: إني أستعيذُ مِنْكَ بما عَاذَتْ به مَرْيَمُ. قال: وما عاذت به؟ قال: قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ فدعا: «**اللَّهمَّ لا تُسَلِّطْهُ عَلَى أَحَدٍ يَقْتُلُهُ بَعْدِي**»، فلمَّا

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢، ١٠٠).

بان رأسهُ، قال: لا إله إلا لله، لا إله إلا اللَّه. ولم يُتمَّ الثالثة!! فلما قُتِلَ خرج منه دمٌ كثير، حتى رَاعَ الحجاجَ، فدعا طبيبًا، قال له: ما بال هذا دمه كثير؟ قال: إن أَمَّنْتَني أَخبَرْتُكَ. فَأَمَّنَهُ، قال: قَتَلْتَهُ ونفسه معه!![1].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/٣٣٤).

احْتِضَارُ الشُّهَدَاءِ

تَرُوعُنَا الجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ فَتَلْهُو حِينَ تَذْهَبُ مُدْبِرَاتِ
كَرَوْعَةِ هَجْمَةٍ لِمَغَارِ سَبْعٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعاتِ

* * *

قال الرسول ﷺ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»(١).

❏ احْتِضَارُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ حَرامٍ:

عن جابر بن عبدالله قال:

لما حضرَ أُحُد دعاني أبي مِنَ اللَّيل: فقال: ما أراني إلَّا مقتولًا في أول مَنْ يُقتل في أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز عَلَيَّ منك غير نفس رسول اللَّه ﷺ، فإن عَلَيَّ دينًا فاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بأخواتك خيرًا(٢).

* * *

❏ احْتِضَارُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ جَحْشٍ:

عن ابن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي قال: إن عبداللَّه بن

(١) رواه البخاري رقم (١٢٨٦).
(٢) «صحيح الجامع» للألباني (٤٤٨٢).

جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو اللَّه؟!!

فَخَلَوْا في ناحية، فدعا عبداللَّه بن جحش: يا رب!! إذا لقيتُ العدو غدًا فَلَقِّني رجلًا شديدًا بَأْسُهُ، شديدًا حَرْدُهُ، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أَنْفِي وَأُذُنِي، فإذا لقيتك غدًا. قلت: يا عبداللَّه! من جدع أنفك وأذنك؟!

فأقول: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ!! فتقول: صدقت! قال سعد: فلقد رأيتُهُ آخر النهار وَإِنَّ أنفه وأذنه لَمعلقتان في خيط(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ:

عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه قال: أتيت مصر فرأيتُ الناسَ قد قَفَلُوا من غزوهم، فأخبروني أنهم لما كانوا عند انقضاء مغزاهم؛ حَيْثُ يراهم العدُوُّ، حضر أبا أيوب الأنصاري الموتُ، فدعا الصحابةَ والناس.

فقال: إذا قُبِضْتُ فَلْتُركب الخيلُ، ثم سيروا حتى تَلْقَوا العَدُوَّ، فيردُّوكُم، فاحفروا لي وادفنوني، ثم سوُّوه! فلتطإ الخيلُ والرجالُ عليه

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١، ١٠٩).

حتَّى لا يُعْرَفَ، فإذا رجعتُم فأخبروا الناسَ أنَّ رسول اللَّه ﷺ، أخبرني: «**أَنَّه لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ يَقولُ: لَا إِلَه إِلَّا اللَّه**»[1].

* * *

❏ **احْتِضَارُ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ:**

إن عمار بن ياسر قال يوم صفين قبل أنْ يُقْتَل: ائتوني بشربة لبن، فإن رسول اللَّه قال: «**آخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا تَشْرَبُهَا يَوْمَ تُقْتَلُ**».

فلما قُتل كان لا يزال يجيء رجل فيقول لمعاوية وعمرو بن العاص: أنا قتلته!!

فيقول له عمرو: ماذا سمعته يقول؟

فيخلطون!!

فجاء رجلٌ فقال: أنا سمعتُه يقول:

اليوم نَلْقَى الأَحِبَّة . . . مُحمَّدًا وصحبه.

فقال عمرو: صدقت، إنك لَصَاحِبُهُ!![2].

* * *

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٤١٢).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧، ٢٧٩).

❑ احْتِضَارُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ:

لما نزل القوم بالحسين وَأَيْقَنَ أنهم قَاتِلُوه، قام في أصحابه خطيبًا، فَحَمَدَ اللَّه وَأَثْنَى عليه، ثم قال: قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدُّنيا، قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، وانشمرت حتى لم يَبْقَ منها إلَّا كصبابة الإناء، إلَّا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحقَّ لا يُعْمَلُ به، والباطلَ لا يُتَنَاهَى عنه!!

ليرغب المؤمن في لقاء اللَّه، وإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا جرمًا(١).

ثم رَمَاهُ رجلٌ بسهمٍ في حنكه، فانتزعه الحسين من حنكه، ففار الدَّمُ، فتلقاه بيديه، ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان بالدم، ثم رمى به إلى السماء!!

وقال: «**اللَّهمَّ أَحصِهِم عَدَدًا، وَاقْتُلْهُم بَدَدًا، وَلَا تَذَرْ عَلَىٰ الأَرْضِ مِنْهم أَحَدًا**»!!(٢).

* * *

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢، ٣٩).
(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨، ١٨٩).

❑ احْتِضَارُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ:

عن عبداللَّه بن الزبير قال: لما كان يوم الجمل جعل الزبير يوصي بِدَيْنِهِ.

ويقول: يا بني! إن عجزت عن شيء فاستعن عليه بمولاي!!

قال: فواللَّه، ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟

قال: اللَّه!

قال: فواللَّه ما وقعت في كربة من دَيْنِهِ إلَّا قلت: يا مولىٰ الزبير اقض دَيْنَهُ، فيقضيه!!

فَقُتِلَ الزبير، ولم يَدَعْ دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين منها بالغابة ودورًا!!

وإنما كان دَيْنُهُ الذي عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه.

فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف، فإني أخشى عليه الضيعة، فحسبت ما عليه فوجدته ألفي ألف، فقضيته!![1].

* * *

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم (١، ٤٧).

❑ احْتِضَارُ سَالِم مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ:

إن سالم مولى أبي حذيفة، لما استُشهد باليمامة، أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، ثم تناوله بشماله فقُطعت، ثم اعتنق اللواء!!

وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ إلى أَنْ قُتِلَ.

* * *

❑ احْتِضَارُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبِ:

عن جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة، اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عَقَرَهَا، ثم قَاتَلَ حتى قُتِلَ، وأنشأ يقول:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا عَلَيَّ إِنْ لاَقَيْتُهَا خِرَابُهَا(١)

* * *

❑ احْتِضَارُ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ:

إنه غاب عن قتال بدر، فلما تقدم قال: غبت عن أول قتال قَاتَلَهُ رسولُ اللَّه ﷺ المشركين، لئن أشهدني اللَّه قتالًا ليرين ما أصنع.

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم (١، ٦١).

وقال ـ أيضًا ـ:

يَا نَفْسُ إلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صليتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عمٍّ له بعظم من لحم فقال: شُدَّ بهذا صلبك؛ فإنك لاقيت من أيامك هذه ما قد لقيت. فأخذه من يده، ثم انتهش منه نهشة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا!! فتقدم، فقاتل حتى قُتِلَ(١).

❑ **احْتِضَارُ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ:**

عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«رُبَّ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»** منهم البراء بن ملك، فلما كان يوم **«تَسْتُر»** انكشف الناس.

فقالو: يا براء، أقسم على ربك!!

قال: أقسمت عليك يا رب، لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك. فاستُشهِد(٢).

* * *

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١، ١٢٠).
(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١، ٣٥٠).

❏ احْتِضَارُ زَيْدِ بْنِ صُوحَان:

إن زيد بن صوحان ارْتُثَّ يوم الجمل - أي: أثخنتهُ الجراحة -، فدخلوا عليه.

فقالوا: أَبْشِر بالجنة!!

قال: تقولون قادرين، أو النار فلا تدرون؟! إِنَّا غزونا القومَ في بلادهم وقتلنا أميرَهم، فليتَنا - إِذْ ظُلِمْنَا - صبرنا!!

وقال: لا تغسِلوا عني دمًا، ولا تَنزِعوا عني ثوبًا إلا الخُفَّين، وَأَرْمِسُوني في الأرض رمسًا، فإني مُخَاصِمٌ أُحاجُّ يومَ القيامة[١].

❏ احْتِضَارُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ:

إن عمرو بن الجموح لما كان يوم أحد قال النبي ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**» فقام وهو أعرج فقال: والله لَأَقْحَزَنَّ - لَأَثِبَنَّ - عليها في الجنة، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ[٢].

❏ احْتِضَارُ الْبَطَّالِ:

إن البطَّالَ - وكان من رأس الشجعان - أصبح في معركة مثخونًا وبه رَمَقٌ، فجاء الملك ليون فقال: أبا يحيى، كيف رأيت؟

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣، ٥٢٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١، ٢٥٣).

قال: وما رأيت؟ كذلك الأبطالُ تَقْتُلُ وَتُقْتَلُ!!

فقال: عَلَيَّ بالأطباء. فأتوا، فوجدوه قد أنفذت مقاتله.

فقال: هل لك حاجة؟

قال: تأمر من يثبتُ معي بولايتي، وكفني، والصلاة عليَّ، ثم تُطلقهم. فَفَعَلَ[١].

* * *

□ **احتِضَارُ عُمَيْرِ بْنِ الحُمَامِ:**

في يوم بدرٍ سمع رسول اللَّه يقول: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**»، فقال عمير: يا رسول اللَّه! جنة عرضها السماوات والأرض؟

فقال: «**نَعَم**»!

فقال: بخٍ بخٍ!!

فقال رسول اللَّه: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِ بَخٍ بَخٍ؟**».

قال: لا واللَّه يا رسول اللَّه إلَّا رجاء أن أكون من أهلها!!

قال: فإنك من أهلها.

قال: فأخرج تمرات من قَرْنِهِ، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٢٦٩).

حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، قال: فَرَمَى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِلَ[١].

❑ احْتِضَارُ حَرَامِ بْنِ مِلْحَانَ:

لما طعن حرام بن ملحان ـ وكان خال أنس بن مالك ـ قال ـ وفي رواية أنه نثر الدم على رأسه وقال ـ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ!![٢].

❑ احْتِضَارُ عَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ التَّمِيمِيِّ:

لما طَعَن جبار بن سلمى عامر بن فهيرة يوم بئر معونة، فقال عامر: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ!! ووقع من رمحه، فلم توجد جثته، فأسلم جبار لذلك، وَحَسُنَ إسلامه.

وقال عمرو بن أمية: لقد رأيتُهُ بعد ما رُفِعَ إلى السماء، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض[٣].

❑ احْتِضَارُ سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ:

استهم يوم بدر خيثمة بن الحارث وابنه سعد، فخرج سَهْمُ سعد، فقال له أبوه: يا بني، آثرني اليوم!!

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١، ٢٥٣).

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١، ١١٠).

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٤، ٨٣).

فقال له سعد: يا أبت، لو كان غير الجنة فعلت!!

فخرج سعد إلى بدر فقُتِلَ بها، وما زال أبوه خيثمة يتطلَّع إلى الجنة حتى كان يوم أُحد، فقُتِل يومها!!![١].

* * *

❑ احْتِضَارُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ غَالِبٍ:

رآه مالك بن دينار في إحدى المعارك، وَسَمِعَهُ يقول - وقد تلاحمت الصفوف -: إني أرى ما ليس عليه صبر... روحوا بنا إلى الجنة...!!، ثم كسر جفن سيفه، وَتَقَدَّمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ[٢].

* * *

❑ احْتِضَارُ عُمَرَ بْنِ الْمُخْتَارِ:

عندما قُبِضَ عليه في ساحة المعركة، حَكَمُوا عليه بالإعدام فقال: إنا للَّه وإنا إليه راجعون. ثم أخذ يردِّد الشهادتين حتى نفذ الحكمُ، ثم وجدوا أنه لم يَمُتْ!! فأعادوا عملية الشنق مرة أخرى!![٣].

* * *

(١) «الإصابة في تراجم الصحابة» لابن حجر (٢، ٢٤).

(٢) «الموعد اللَّه» لخالد محمد خالد (١٢٤).

(٣) «علو الهمة» لسيد العفاني (٦، ٥٧٩).

احْتِضَارُ الْمُحَدِّثِينَ

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي
عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

❑ احْتِضَارُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ:

عن ابن مهدي: إن سفيان الثوري ضَجَّ من عِلَّتِهِ لما طَالَتْ فقال: يا موتُ يا موتُ!! ثم قال: لا أتمناه ولا أدعو به. فلما احْتُضِرَ، بَكَىٰ وجزع، فقلت له: يا أبا عبدالله! ما هذا البُكاء؟! قال: يا عبدالرحمن! لِشدَّة ما نَزَلَ بي من الموت، الموتُ ـ والله ـ شَديدٌ!!

فمسِسْته، فإذَا هو يقول: رُوحُ الموت تخرج رَشَحًا، فأنا أرجو. ثم قال: اللَّه أرحمُ مِنَ الوَالدة الشَّفيقة الرَّفِيقة، إنه جوادٌ كريم، وكيف لي أَنْ أُحِبَّ لِقَاءَهُ، وَأَنَا أكره الموتَ؟! فبكيتُ حَتَّىٰ كِدْتُ أختنقَ، أخفي بكائي عنه، وجعل يقول: أَوَّهُ، أَوَّهُ مِنَ الموت. قال: عبدالرحمن: فما سَمِعْتُهُ يقول أَوَّهُ، ولَا يَئِنُّ إلَّا عند ذهاب عقله!

ثم قال: مرحبًا بِرَسُولِ ربي! ثم أغمي عليه، ثم أسكت، ثم أغمي عليه، فظننت أنه قد قضى، ثم أفاقَ فقال: يا عبدالرحمن، اذهب إلى حمَّاد بن سَلمة فَادْعُه لي؛ فإني أحبُّ أَنْ يَحْضُرَني. وقال: لَقِّني قول:

لا إله إلا اللَّه. فجعلت أُلَقِّنُهُ.

قال: وجاء حمَّاد مُسرعًا حافيًا!! ما عليه إلا إزار، فَدَخَل وقد أُغمي عليه، فَقَبَّلَ بين عَيْنَيْهِ، وقال: بارك اللَّه فيك يا أبا عبداللَّه! ففتح عينيه، ثم قال: أي أخي، مرحبًا!! ثم قال: يا حمَّاد! خُذْ حِذْرَكَ واحْذَرْ هذا المصْرَع!![1].

* * *

❑ احْتِضَارُ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ:

قال الحسن بن صالح: لما احتُضر أخي علي (الإمام القدوة)، رَفَعَ بصرَهُ، ثم قال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ثم خرجت نَفْسُهُ، فنظرنا، فإذا ثقبٌ في جنبه وَصَلَ إلى جوفه، وما عَلِمَ به أحد[2].

❑ احْتِضَارُ ابنِ المُبَارَكِ:

لما احتُضر ابن المبارك، جعل رجل يلقِّنه، قل: لا إله إلا اللَّه. فأكثر عليه، فقال له: لست تُحسِنُ، وأخافُ أن تؤذي مسلمًا بعدي. إذا لقَّنتني فقلتُ: لا إله إلا اللَّه، ثم لم أحدِث كلامًا بعدها، فدعني، فإذا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧، ٢٥١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧، ٣٧٢).

أحدثتُ كلامًا، فلقِّني حتى تكونَ آخر كلامي(١). وكان قد احتُضر بالسفر فقال: أشتهي سويقًا. فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، وكان معنا في السفينة، فذكرنا له ذلك فقال: دعوه. فمات ولم يَشْرَبْهُ!!(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ:

إن محمد بن ثابت البناني احتُضر أبيه، فذهب يلقنه: لا إله إلا اللَّه، فقال: يا بني! دعني؛ فإني في وردي السادس أو السابع(٣).

* * *

❑ احْتِضَارُ الْبُخَارِيِّ:

إن أمير بُخَارَى عندما طرد البخاريَّ - مصنف الصحيح - من بلده، خرج منها ودعا على أميرها، فلم يمض شهر حتى زال ملكه، وسجن في بغداد حتى مات، ولم يبق أحد يقوم ضده إلا ابْتُلِيَ ببلاءٍ شديدٍ، فنزح البخاري على سمرقند عند أقارب له، وجعل يدعو اللَّه أن

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨، ٤١٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨، ٤١١).

(٣) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢، ٣٢٢).

يقبضه إليه، حين رأى الفتن في الدين؛ لما جاء في الحديث «**وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونِينَ**» ثم مرض على إثر ذلك ومات(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ:

قال عبدالله: سمعتُ أبي يقول: استكملتُ سبعًا وسبعين سنة، ودخلتُ في ثمان»، فَحُمَّ من ليلته، ومات اليوم العاشر.

وقال صالح: حُمَّ أَبي ليلة الأربعاء، وباتَ وهو محمومٌ، يتنفس تنفسًا شديدًا، وكنت قد عرفت عِلَّتَهُ، وكنت أُمَرِّضُهُ إذا اعْتَلَّ، فقلت: يا أبتِ عَلَامَ أفطرتَ البارحةَ؟!! قال: على ماءِ باقلِّي.

ثم أراد القيام، فقال: خُذْ بيدي. فأخذتُ بيده، فلما صار إلى الخلاء ضَعُفَ، وتوكَّأ عليَّ.. وكثر الناس، فقال: ما ترى؟ قلت: تأذن لهم فيدعون لك. وجاء جار لنا قد خَضَبَ، فقال أبي: إني لأرى الرجل يُحيي شيئًا من السُّنَّةِ فأفرحُ به!!.

قال: وأصحابُ الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر، والبُرُدُ تختلفُ كل يوم. وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه، وجاء

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ٣٠).

قومٌ من القضاة وغيرهم، فلم يؤذن لهم، ودخل عليه شيخ فقال: اذكر وقوفك بين يدي اللَّه!. فشهق أبو عبداللَّه، وسالت دُمُوعُهُ.

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين، قال: ادعوا لي الصِّبيان ـ بلسان ثقيل ـ. فجعلوا ينضمون إليه، وجعل يشمُّهم، ويمسحُ رءوسهم، وعينُهُ تدمع!! وَأَدْخَلْتُ تحته الطَّست فرأيتُ بَوْلَهُ دمًا عَبِيطًا، فقلت للطبيب، فقال: هذا رجلٌ قد فَتَّتَ الحزنُ وَالْغَمُّ جَوْفَهُ!! واشتدتْ عليه عِلَّتُهُ يوم الخميس، ووضأته، فقال: خَلِّلِ الأصابع. فلما كانت ليلة الجمعة ثَقُلَ وَقُبِضَ صَدْرَ النَّهار، فصاح الناس، وَعَلَتِ الأصواتُ بالبكاء؛ حتى كأن الدُّنيا قد ارتجت، وامتلأت السِّكَكُ والشَّوارعُ(١).

* * *

❏ احتِضَارُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْقَطَّانِ:

إن يَحْيَى بن سعيد القطان ـ أمير المؤمنين في الحديث ـ كان بمنزله، فقل لأحدهم: اقْرَأْ، فلما بلغ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ صَعِقَ يحيى، وغُشي عليه، وارتفع صَوتُهُ، وكان بابٌ قريبٌ منه، فانقلب؛ فأصاب البابُ فَوَقَفْنَا ظَهْرِهِ، وسال الدم، فصرخ النِّساء، وخرجنا ووقفنا بالباب حتى أفاق بعد كذا وكذا، ثم دخلنا عليه، فإذا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١، ٣٣٥).

هو نائم على فراشهِ وهو يقول: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فما زالت فيه تلك القرحة حتى مات. وجاء إليه أحدهم في مرضه، فقال: يُعافيك اللَّه ـ إن شاء اللَّه ـ!! فقال: أَحَبُّهُ إليَّ أَحَبُّهُ إلى اللَّه[1].

* * *

❑ احْتِضَارُ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ:

لما كان وقتُ صلاة الظُّهر من يوم الاثنين الذي تُوفِّيَ فيه، طلب ماءً ليجدد وضوءهُ، فقيل له: تؤخِّر الظُّهر تجمع بينها وبين العصر. فأبى وصَلَّى الظُّهر مفردة، والعصرَ في وقتها أَتَمَّ صلاة وأحسنَهَا، وحضر مَوْتَهُ جماعةٌ، فقيل له قبل خروج رَوْحِهِ: يا أبا جعفر! أنت الحجة فيما بيننا وبين اللَّه فيما ندين به، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا، وبيِّنة لنا نرجو بها السَّلامه في مَعَادنا؟! فقال: الذي أدينُ اللَّه به، وأوصيكم هو ما ثَبَّتُّ في كُتبي؛ فاعملوا به وعليه. وأكْثَرَ من التشهد وذكر اللَّه ـ عز وجل ـ، ومَسَحَ يده على وجهه، وغمض بصره بيده وبسطها وقد فارقت روحه الدَّنيا[2].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩، ١٨٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤، ٢٧٦).

❑ احْتِضَارُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ:

إن عبداللَّه بن أحمد بن حنبل لما مَرِضَ قيل له: أين تدفن؟ فقال: صَحَّ عندي أن بالقطيعة نَبِيًّا مدفونًا؛ ولأن أدفنَ بجوار نبي أحبُّ إليَّ من أن أُدْفَنَ بجوار أبي(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ عَبْدِالرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ:

إن عبدالرحمن السلمي لما دخلنا عليه وبعضهم يرجيه، فقال: أنا أرجو ربي، وقد صُمْتُ له ثمانين رمضانًا.

وَدَخَلْنَا عليه وهو يقضي في مسجده، فقلنا له: يرحمك اللَّه! لو تحولت إلى فراشك؟ فقال: حدثني من سَمِعَ النبي ﷺ يقول: «**لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، تَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»، فقل: أنا أُرِيدُ أن أموت وأنا في المسجد(٢).

* * *

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ١٠٣).

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٩، ٤٣١).

❑ احْتِضَارُ أَبِي زَرْعَةَ الرَّازِيِّ:

لما احتضر أبو زرعة الرازي كان عنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم، فارتجَّ عليهما، فقال أبو حاتم: ما تَقُولُ في تلقين الموتى (لا إله إلا اللَّه). فرد محمد بن مسلم حديث معاذ، فرفع أبو زرعة رَأْسَهُ، وساق الإسناد وقال: مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه. وخرجت روحُه مع الهاء...(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ:

دخل ناسٌ على إبراهيم النخعي يعودنه وهو يبكي، فقالوا له: ما يُبكيكَ يا أبا عمران؟! قال: أنتظر ملك الموت؛ لا أدري يبشرني بالجنة أم بالنار!!(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيِّ:

إن إبراهيم الحربي ـ أحد أئمة الحديث ـ لما حضرته الوفاة، دخل عليه بَعضُ أصحابه يعوده، فَقَامَتِ ابنته تشكو إليه ما هم فيه مِنَ

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (١، ٩٤).
(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٤، ٢٢٤).

الجهد، وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس والملح، وربما عدموا الملح في بعض الأحيان!! فقال لها إبراهيم: يا بنية، تخافين الفقر!! انظري إلى تلك الزاوية فيها اثنا عشر ألف جزء قد كتبتها، ففي كل يوم تبيعي منها جزءًا بدرهم، فمن عندهُ اثنا عشر ألف درهم ليس بِفَقِيرٍ. ثم كانت وفاته(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ ابْنِ عَسَاكِرَ:

صلَّى ابن عساكر الظُّهر فجعل يسأل عن العصر، فقيل له: لم يقرب وقتها. فتوضأ، ثم تشهَّد وهو جالس، ثم قال: رضيت باللَّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، لقنني اللَّه حجتي، وأقالني عثرتي، ورحم غربتي. ثم قال: وعليكم السلام.. فعلِمنَا أنه حضرته الملائكة، فَانْقَلَبَ على قفاه ميتًا(٢).

* * *

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ٨٤).

(٢) «طبقات الشافعية» للسبكي (٨، ١٨٤).

☐ احْتِضَارُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ:

قال محمد بن القاسم: دَخَلْتُ على محمد بن أسلم ـ الإمام الرَّباني ـ قبل موته بأربعة أيام بنيسابور، فقال: يا أبا عبدالله! تعال أُبشركَ بما صنع اللَّه بأخيك من الخير؛ قد نزل بي الموتُ، وقد مَنَّ اللَّه عَلَيَّ أنه ما لي درهمٌ يحاسبني اللَّه عليه. وقال: أغلق الباب، ولا تأذن لأحد حتى أموت، وتدفنون كتبي، واعلم أني أخرج من الدُّنيا وليس أَدَعُ ميراثًا غير كسائي، ولِبدي، وإنائي الذي أتوضأ به، وكتبي هذه؛ فلا تكلفوا الناس مؤنَة. وكان معه صُرَّة فيها نحو ثلاثين درهمًا فقال: هذا لابني أهداه قريبٌ له، ولا أعلم شيئًا أَحَلَّ لي منه؛ لأن النبي ﷺ قال: «**أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ**»، وقال: «**أَطْيَبُ ما أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ**»، فكفِّنوني منها، فإن أصبتُم لي بعشرةٍ ما يستر عورتي، فلا تشتروا بخمسة عشر، وابْسُطُوا على جِنَازَتي لبدي، وغطُّوا عليها كِسائي، وأعطوا إنائي مسكينًا[1].

* * *

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ٢٠٠).

❑ احْتِضَارُ الْحَسَنِ بْنِ حَامِدٍ:

كان مدرس أصحاب أحمد، وفقيههم في زمانه، وكان لا يأكل إلا من كَسْبَ يديه مِنَ النسيج. خرج إلى الحجِّ، فلما عطش الناس في الطريق، استند هو إلى حجر هناك في الحرِّ الشديد، فجاءه رجلٌ بقليلٍ من ماء، فقال ابن حامد: من أين لك هذا؟ فقال: ما هذا وقت سؤالك! اشرب. فقال: بلى، هذا وقته عند لقاء اللَّه عَزَّ وَجَلَّ. فلم يشرب ومات من فوره(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِيِّ:

كان يَعِظُ النَّاس، فورد عليه كتاب من بُخَارَى مشتملًا على ذكر وباءٍ عظيم وقع بها، وطلبوا الدُّعاء لكشف البلاء، ووصف فيه أن واحدًا تقدم إلى خباز يشتري الخبز، فدفع الدراهم إلى صاحب الحانوت، فكان يزنها، والخباز يخبز، والمشتري واقف، فمات الثلاثة في الحال!! فلما قرأ الكتاب هَالَهُ ذلك، واستقرأ من القارئ قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾،

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ٣٧٣).

وبالغ في التخويف والتحذير، وَأَثَّرَ ذلك فيه، وتغير الحال، وَغَلَبَهُ وجعُ البطن من ساعته، وأنزل من المنبر، فكان يصيح من الوجع، وحمل إلى الحمام إلى قريب من غروب الشمس، فكان يتقلب ويصيح ويَئِنُّ!! فحمل إلى بيته وبقي فيه ستة أيام، فلما كان اليوم السابع ظهرت آثار الموت، وودع أولاده، وأوصاهم بالخير، ونهاهم عن لطم الخدود والنياحة، ثم دعا بالمقرئ من خاصته حتى قرأ سورة ياسين، وتغير حاله، وكان يعالج سكرات الموت، إلى أن قرأ إسنادًا فيه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**»، ثم تُوفِّيَ من ساعته(١).

* * *

□ احْتِضَارُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ:

مرض شيخ الإسلام سليمان التيمي، فبكى، فقيل: ما يُبكيك؟! قال: مررتُ على قدريٍّ فسلمت عليه. فأخاف الحساب عليه(٢).

* * *

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (٤، ٢٧٨).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦، ٢٠٠).

❑ احْتِضَارُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْوَقْتِ:

دخل عليه ـ عند احتضاره ـ أحد تلاميذه، وقال: يا سيِّدي! قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، فرفع إليه طَرْفَهُ وقال:

﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾

فدهش إليه هُوَ ومَنْ حضر مِنَ الأصحاب، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورةَ، وقال: اللَّه اللَّه اللَّه. وتُوفِّيَ وهو جالسٌ على السجَّادة[١].

* * *

❑ احْتِضَارُ ابْنِ الْفَرَضِيِّ:

إن ابن الفرضي لم يُرَ مثلُه في سعة الرواية، وحفظِ الحديث، قُبِضَ وقُتِلَ يومَ أَخْذِ قرطبة، فرآه أحدهم بين القتلى، ودنا منه، فسَمِعَه يقول بصوت ضعيف:

«**لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ ـ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ**».

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠، ٣٠٩).

كأنه يعيد على نفسه الحديثَ، ثم قضى على إثْرِ ذلك(١).

* * *

❑ احتِضَارُ مُحَمَّدِ بن زَيْدٍ:

إن محمد بن محمد بن زيد ينتهي نَسَبُهُ إلى عليٍّ بن أبي طالب، صحب الحافظ أبا بكر الخطيب، وأمْلَى الحديث بأصبهان، كان ذا أموال، وكان له بستان ليس لِمَلِكٍ مثله، فطلبه منه مَلِكُ ما وراء النهر عارية ليتنزه فيه، فَأَبَىٰ عليه، وقال: أعيره إياه ليشرب فيه الخمر!! بعد ما كان مأوى لِأَهْلِ العلم والحديث والدين. فحقد عليه السلطان، وقبض عليه وسجنه!! واستولى على جميع أمواله، وكان يقول: ما تحققت صحة نسبي إلا في هذه المصادرة؛ فإني ربيت في النعيم، فكنت أقول: إن مثلي لا بُدَّ أن يُبتلىٰ!. ثم منعوه الطعام والشراب حَتَّى مات(٢).

* * *

❑ احتِضَارُ ابْنِ مَاهَانَ:

أبو صالح الحنفي ماهان. أمر الحَجَّاجُ بماهان أن يصلبَ على بابه،

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧، ١٧٩).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢، ١٤٣).

قال: ورأيته حين دُفِعَ إلى الخشبة يسبِّح، ويهلِّل، ويكبِّر، ويعقد بيديه، حتى بلغ تسعًا وعشرين. قال: وطعنه الرجل وهو على تلك الحالة!! قال: فلقد رأيته بعد شهر معقودًا بيده تسعًا وعشرين. قال: وَكُنَّا نرى عنده الضَّوْءَ باللَّيل شِبْهَ السِّراج[1].

* * *

❑ احْتِضَارُ وَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ:

عن مليح بن وكيع؛ قال: لما نزل بأبي الموتُ، أخرج يديه فقال: يا بُنَيَّ تَرَىٰ يديَّ! ما ضربتُ بهما شيئًا قطُّ[2].

قال عليُّ بنُ عثَّام: مَرِضَ وكيعٌ، فدخلنا عليه، فقال: إنَّ سُفيان أتاني فبشَّرني بجواره!! فأنا مُبَادِرٌ إليه[3].

❑ احْتِضَارُ الْقَاسِمِ بْنِ مُخَيْمِرَةَ:

كان القاسم بن مخيمرة يدعو بالموت، فلما حضره الموتُ، قال لأمِّ ولدِهِ: كُنْتُ أدعو بالموت، فلما نزل بي كَرِهْتُهُ[4].

* * *

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٤، ٣٦٤).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩، ١٥٩).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩، ١٦٦).
(٤) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٢٠٣).

❑ احْتِضَارُ أَبِي حَصِينٍ الْحَافِظِ:

قال أبو بكر بن عياش: دخلت على أبي حصين الحافظ في مرضه الذي مات فيه، فأُغمي عليه ثم أفاق، فجعل يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ثم أُغمي عليه، ثم أفاق، فجعل يُرَدِّدُهَا، فلم يزل على ذلك(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ ابْنِ عَوْنٍ:

كان ابن عون يقول عند الموت: السُّنَّة، السُّنَّة، وإياكم والبدعَ!! حتى مات(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ الْحَافِظِ المزِيِّ:

إنه مرض أيامًا يسيرة من الطاعون، فدخل عليه ابن كثير ـ زوج ابنته ـ، فإذا هو يرتعد رعدة شديدة من قوة الألم، فسأله عن حاله، فجعل يكرر: الحمد لله، وَصَلَّى الظهر بنفسه، فلما كان من الغد أَذَّن

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٤١٦).

(٢) «شرح السنة» للبربهاري (١٢٧).

الظهرُ، فقالت له ابنته: يا أبه أذن الظهرُ. فذكر اللَّه.

وقال: أريد أن أصلي.

فتيمم وَصَلَّى، ثم اضطجع فجعل يقرأ آية الكرسي حتى جعل لا يفيض بها لسانه، ثم قُبِضتْ رُوحُهُ بين الصلاتين(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ الْمَقْدِسِيِّ:

إن المقدسي مرض قريبًا من ثلاثة أشهر، ثم تفاقم أمره، وأفرط به إسهال إلى أن تُوفِّيَ قبل أذان العصر، فأخبر والده أن آخر كلامه: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه، اللَّهُمَّ اجعلني من التوابين، اللَّهمَّ اجعلني من المتطهِّرين(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ الْخُزَاعِيِّ:

أُخِذَ أحمد بن نصر إلى الواثق زمن الفتنة، فقال له الواثق: ما تقول في القران؟ قال: كلام اللَّه.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤، ٢٠٤).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤، ٢٢١).

قال: أمخلوق هو؟

قال: هو كلام اللَّه.

قال: أفترى ربك يوم القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية.

فقال: ويحك! يُرى كما يُرى المحدود المتجسم!! يحويه مكان، ويحصره الناظر؟! أنا كفرتُ بربٍّ هذه صفته!.

فاستفتى فيه، فقال جماعة من الفقهاء: هو حلال الدم.

فدعا الواثق، وقام، وَأَمَرَ بالنِّطْعِ، فأجلس عليه وهو مقيد، وَأَمَرَ بشدِّ رأسه بحبلٍ، وأمرهم أن يمدوه، وَمَشَىٰ إليه حتى ضُرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد!!

قال عنه أحمد بن حنبل: رحمه اللَّه! ما كان أسخاه، لقد جاد برأسه!![1].

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي الْبَرَكَاتِ النَّيسَابُورِيِّ:

قال ابن سُكينة: كنت حاضرًا لما احتُضِر شيخ الشيوخ أبو البركات، فقالت له أمي: يا سيِّدي ما تجد؟

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٥، ١٧٨).

فما قدرَ على النُّطق، فَكَتَبَ على يدِهَا: ﴿رُوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾. ثم مات(١).

* * *

❑ احتِضَارَ بِشْرِ بنِ مَنْصُورٍ:

عن عبدالأعلى قال: دخلنا على بشر بن منصور، وهو في الموت، وإذا هو مِنَ السرور العظيم.

فقلنا له: ما هذا السرور؟

قال: سبحان اللَّه! أَخْرُجُ من بين الظالمين، والحاسدين، والمغتابين، والباغين، وأَقْدُمُ على أرحم الراحمين ولا أُسَرُّ!!(٢).

* * *

❑ احتِضَارُ يَحْيَى الذُّهْلِيِّ:

يحيى بن محمد الذهلي الشهيد، قال الحاكم: هو إمامُ نيسابور في الفتوى والرئاسة، وابنُ إمامها... خرج على سلطان نيسابور الخارجي، الذي غَلَبَ على البلد، وكان ظالماً غشومًا!!

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠، ١٦١).

(٢) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣، ١٩٧).

ثم قبض على يحيى الذهلي، فتراجع الذين كانوا مع يحيى من الرؤساء، وانقلبوا عليه لما رأوه مقبوضًا عليه، فأحضره وقال: ألم أُحسِن إليك؟ ألم أفعل؟ ألم أفعل؟

فقال: أُكرهتُ على ذلك، واجتمعوا عليَّ!!

فَرَدَّ عليه هؤلاء الرؤساء وقالوا: ليس كما قال.

فأخذه الحاكم فقتله، ويقال: إنه أمر بجرٍّ خُصْيَيْهِ حتى مات(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ ابْنِ خَيْرُونَ:

الإمام ابن خيرون أبو جعفر، قال بعضهم: كنتُ جالسًا عند ابن أبي خِنزير ـ وكان متولي الشيعة ـ، فدخل ابن خيرون، وكان ذا هيئة وخشوع، فبكى ابنُ أبي خِنزير وقال: السلطانُ عبيدالله المهدي ـ الشيعي ـ وَجَّهَ إليَّ يأمُرُني بِدَوْسِ هذا حتى يموت!! ثم بطَحَه، وقفزَ عليه السُّودانُ حتى مات؛ لجِهاده وبُغضه لعبيدالله وجُنده(٢).

* * *

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٨٨/١٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤، ٢١٧).

❑ احْتِضَارُ النَّسَائِيِّ:

الإمام المحدث النسائي، ذهب إلى دمشق، وَسُئِلَ عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة! فأخرجوه وهو عليل، فتُوفيَ بمكة مقتولًا شهيدًا سنة ثلاث وثلاث مئة(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي بَكْرٍ النَّابُلْسِيِّ:

قال أبو ذر الحافظ: سجَنَه بنو عُبيد، وصلبوه على السنَّة، سمعتُ الدَّار قطني يذكُره ويبكي، ويقول: كان يقول وهو يسلخ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾.

قال أبو الفرج بن الجوزي: أقام جَوهر القائد لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرَّجل عشرةُ أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهمًا، وفينا تسعة!!

قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجب أن

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ١٣٢).

يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا؛ فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية؟!!، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديًّا فسلخه!!

وسلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه!! فكان يذكر اللَّه ويصبر حتى بلغ الصدرَ فَرَحِمَهُ السَّلاخ، فوكزه بالسِّكين موضع قلبه فقضىٰ عليه. وكان إمامًا في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سُلِخَ كان يُسْمَعُ من جَسَدِه قراءةُ القرآنِ!![1].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤٨/١٦).

احْتِضَارُ الْفُقَهَاءِ

لِكُلِّ أناسٍ مقبرٌ بفنائِهِم فَهُم ينقصُونَ والقُبُورُ تَزِيدُ
فَهُمْ جيرةُ الأَحْيَاءِ أَمَّا مَزَارهم فَدَان! وَأَمَّا الـمُلْتَقَى فَبَعِيدُ

❑ احْتِضَارُ الشَّافِعِيِّ:

عن المزني، قال: دخلت على الشافعي في مَرَضِهِ الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت؟

قال: أصبحتُ من الدُّنيا راحلًا، ولإخواني مفارقًا، ولسوء أفعالي ملاقيًا، وبكأس المنية شاربًا، فواللَّه ما أدري أروحي إلى الجنة تصير فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها!! وأنشد:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ
تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا[١]

(١) «طبقات الشافعية» لابن السبكي (١، ٢٩٦).

❑ احْتِضَارُ أَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ:

عن الطبري قال: دخلنا على أبي المعالي الجويني -إمام الحرمين- في مرضِه، فقال: اشهدوا على أني رجعتُ عن كل مقالة أُخالف فيها السَّلف، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور[١].

* * *

❑ احْتِضَارُ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى:

قاضي البصرة زرارة بن أوفى؛ قرأ في الفجر: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾، فَخَرَّ ميتًا[٢].

* * *

❑ احْتِضَارُ الْإِمَامِ مَالِكٍ:

مَرِضَ مالكٌ، فقال أهله: إنه تَشَهَّد، ثم قال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[٣].

* * *

(١) «طبقات الشافعية» لابن السبكي (١، ٩١).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤، ٥١٦).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨، ١٣٠).

❑ احْتِضَارُ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ:

لما قَرُبَتْ وفاتُه، قال: لما تَفَقَّهْنَا، متنا!![1]

* * *

❑ احْتِضَارُ ابْنِ الْقَصَّارِ:

عن ابن عون قال: دخلت مع سُحْنُون علىٰ ابن القصَّار وهو مريض، فقال: ما هذا القَلَقُ؟ قال له: الموت، والقُدومُ على اللَّه!!

قال له سحنون: ألست مُصَدِّقًا بالرسلِ والبعثِ والحساب، والجنة والنار، وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر، والقرآن كلام اللَّه غير مخلوق، وأن اللَّه يُرَىٰ يوم القيامة، وأنه على العرش استوىٰ، ولا تخرج على الآئمة بالسيف، وإن جَارُوا.

قال: إي واللَّه!!

فقال: مُتْ إذا شئتَ، مُتْ إذا شئتَ!![2].

❑ احْتِضَارُ نَضرِ بْنِ عَلِيٍّ:

كان المستعين باللَّه، بعثَ إلىٰ نَصْرِ بن علي يُشْخِصُه للقَضَاء،

---

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (٤، ٦٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ٦٧).

فدعاه عبدُالملك أميرُ البصرة، وأمره بذلك، فقال: أَرْجِعُ وأَسْتَخيرُ اللَّه! فرجع إلى بيته نصفَ النهار، فصلَّى ركعتين، وقال: اللَّهمَّ إن كان لي عندك خيرٌ فاقْبِضْني!! فنام فأنبهوه فإذا هو مَيتٌ!![1].

❑ احْتِضَارُ أَبِي خَازِمٍ:

إن أبا خازم ـ قاضي القضاة ـ، لما احتُضر بكى، وَجَعَلَ يقول: يا ربِّ!! مِنَ القضاءِ إلى القبرِ!![2]

* * *

❑ احْتِضَارُ الْقَاضِي عَبْدِالْوَهَّابِ الْمَالِكِيِّ:

إن القاضي عبدالوهاب المالكي خرج من بغداد؛ لأنه لم يجد حقَّ رغيفين، فلما وصل إلى مصر واشتهر أمره، مات أول ما وصلها من أكلةٍ اشتهاها فَأَكَلَهَا. وزعموا أنه قال ـ وهو يتقلب ونفسه تصعد ـ: لا إله إلا اللَّه إذا عِشْنَا متنا[3].

❑ احْتِضَارُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ:

إن محمد بن الحسن ـ فقيه العراق ـ، لما احتُضر قيل له: أتبكي مع

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ١٣٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣، ٥٠).

(٣) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣، ٢٢٠).

العِلْم؟

قال: أرأيت إن أوقفني اللَّه، وقال: يا محمد، ما أقدمك الرَّيَّ؟! الجهادُ في سبيلي، أم ابتغاءُ مرضاتي؟ ماذا أقول؟![١].

* * *

❑ احتِضَارُ عَبدِاللَّه بْنِ وَهْبٍ:

إن عبداللَّه بن وهب أحد فقهاء المالكية، قُرِئَ عليه كتاب (الأهوال) من جامعه، فأخذه شيءٌ كَالْغَشْي!! فَحُمِلَ إلى دَارِهِ، فلم يزل كذلك إلى أن قَضَى نَحْبَهُ[٢].

* * *

❑ احتِضَارُ الْقَاضِي حَفْصِ بْنِ غَيَّاثٍ:

إن القاضي حفص بن غياث لما مَرِضَ خمسةَ عشرَ يومًا، دَفَعَ إلى ابنه مئة درهم، وقال: امضِ إلى العامل، وقُل له: هذه رزق خمسة عشر يومًا، لم أحكم فيها بين المسلمين؛ لا حَظَّ لي فيها!!

قال ابنه: فلما حضرته الوفاة أُغمي عليه، فبكيتُ عند رأسه فأفاق!

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩، ١٣٦).

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣، ٣٧).

فقال: ما يُبكيك؟!

قلت: على فراقك، ولما دَخَلْتَ فيه من هذا الأمر!!

قال: يا بني! ما حللت سراويلي على حرام قَطُّ، ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من توجه الحكم بينهما!![1].

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي يُوسُفَ (صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ):

قال إبراهيم الجراح تلميذ أبي يوسف (صاحب أبي حنيفة): أَتَيْتُهُ أَعُوده، فوجدته مغمىً عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم: ما تقول في مسألة؟

قلت: في مثل هذه الحالة!!

قال: ولا بأس بذلك، ندرس لعلَّه ينجو به ناجٍ!!

ثم قال: يا إبراهيم أيهما أفضل في رمي الجمار ـ أي: في مناسك الحج ـ؟ أن يَرْمِيَهَا ماشيًا أو راكبًا؟

قلت: راكبًا!

قال: أخطأت!

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢، ١٩٨).

قلت: قل فيها. قال: أمَّا ما كان يوقف عنده للدعاء؛ فالأفضل أن يَرميها ماشيًا، وأما ما كان لا يوقف عنده، فالأفضل أن يرميها راكبًا!!

ثم قُمت من عنده فما بلغت باب داره حتى سَمِعْتُ الصراخ عليه، وإذا هو قد مات[١].

❑ احْتِضَارُ ابْنِ البَرْذُون وأَبي بَكْرِ بْنِ هُذَيْلٍ:

لمَّا وَصَلَ عبيْدالله إلى رَقَّادة[٢]، طلب من القيروان ابنَ البردون، وابن هذيل، فأتياه وهو على السَّرير، وعن يمينه أبو عبدالله الشيعي، وأخوه أبو العباس عن يساره، فقال: أتشهدان أنَّ هذا رسولُ الله!! فقالا بلفظٍ واحد: والله لو جَاءَنَا هذا، والشمسُ عن يمينه، والقمرُ عن يساره يقولان إنه رسول الله؛ ما قلنا ذلك.

وقيل لابن البردون لما جُرِّد للقتل: أترجعُ عن مذهبك؟ قال: أَعَنِ الإسلام أرجِع!! ثم صُلِبَا[٣].

* * *

(١) «قيمة الزمن عند العلماء» عبدالفتاح أبو غدة (٧٠).
(٢) رقَّادة: بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام.
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤، ٢١٧).

❑ احْتِضَارُ حُجَّةِ الدِّينِ الْفَنْدَلَاوِيِّ:

الفقيه الفندلاوي، ذهب إلى قتال الفرنج عندما تقدموا إلى دمشق، فلما رآه مقدم العسكر وهو راجل، قصده وسَلَّمَ عليه، وقال: يا شيخ أنت معذورٌ لكبر سنِّك، ونحن نقوم بالذَّبِ عَنِ المسلمين، وسأله أَنْ يَعُودَ، فلم يفعل!!

وقال له: لقد بِعْتُ واشترى مني، فواللَّه لا أقيله ولا أستقيله ـ يريد قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾، فتقدَّم فَقَاتَلَ حتى قُتِلَ(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ:

كان قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بمكة، وتُوفي وهو يقرأ القرآن، وكان يقول: أَشتَهِي أن أموت وأنا معزول، وأن تكون وفاتي بأحد الحرمين!!

فأعطاه اللَّه ما تمنَّاه؛ عزل نفسه في السنة الماضية، وهاجر إلى مكة، ثم قدم إلى المدينة لزيارة رسول اللَّه ﷺ، ثم عاد إلى مكة(٢).

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢، ٤٥٢).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤، ٣٣٤).

❑ احْتِضَارُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ:

كان شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية محبوسًا في القلعة، وفي أول جماد الآخرة أخرج جميع ما عنده من كُتُب، وأوراق، ودواة، ومنع من الكتابة والمطالعة، وحملت كتبه إلى خزانة الكتب، وكانت نحو ستين مجلدًا!!

فلما جاءت ليلة الاثنين (عشرين من ذي القعدة)، تُوفي، فكنت ـ أي: ابن كثير ـ، فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي ـ رحمه اللَّه ـ، فكشفتُ عن وجهه، ونظرتُ إليه وقبلته، وقد علاه الشيب، أكثر مما فارقناه!!

وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبدالرحمن ـ وكان محبوسًا معه ـ: أنه قرأ والشيخ منذ وصلا إلى القلعة، ثمانين ختمة، وَشَرَعا في الختمة الحادية والثمانين، فانتهينا فيها إلى آخر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾.

ثم شرع جماعة في غسله ـ منهم الحافظ المزي ـ، وخرجوا به إلى الجامع الأموي، والخلائق بين يدي الجنازة وخلفها، وعن يمينها وشمالها، ما لا يُحصِي عِدَّتهم إلا اللَّه، فصرخ صارخ: هكذا تكون جنازة أئمة السُّنة، فَتَبَاكَىٰ النَّاس وضجوا عند سماع هذا الصارخ، وجاء الناس من كل مكان وَقِوِيَ خلق الصيام؛ لأنهم لا يتفرغون في

هذا اليوم لأكل ولا لشرب، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف؛ بل مرصوصين رصًّا[1].

* * *

❑ احْتِضَارُ ابْنِ النَّفِيسِ:

إن ابن النفيس كاشف الدورة الدموية، كان ـ أيضًا ـ صاحب علمٍ واسعٍ بالفقه، فكان يجتمع هو والقاضي بن واصل يتباحثان إلى الصباح، فلما حضره الموت من علة، نَصَحَهُ الأطباء أن يتناول شيئًا من الخمر، فرفض!!

وقال: لا ألقى اللَّه ـ تَعَالَى ـ وفي باطني شيءٌ من الخمرِ[2].

* * *

❑ احْتِضَارُ ابْنِ عَقِيلٍ الحَنْبَلِيِّ:

الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي لما أدركته الوفاة بكى النِّساء، فقال ابن عقيل: قد وَقَّعْتُ عن اللَّه خمسين سنة ـ يعني: أنه كان يوقع الفتاوى التي يُبَيِّنُ فيها أحكامَ اللَّه في الوقائع للناس، فكان يوقع نيابة عن اللَّه ـ!!.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤، ١٤٤).

(٢) «قيمة الزمن عند العلماء» لأبو غدة (٧٥).

فدعوني أتهنأ بلقائه!![١].

* * *

❑ احْتِضَارُ الْمَاوَرْدِيِّ:

الإمام أبو الحسن الماوردي شيخ الشافعية، لم يظهر شيئًا من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلما دنت وفاته، قال لمن يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، ولم أظهرها؛ لأني لم أجد فيها نية خالصة، فإذا عاينت الموت ووقعت في النزع، فاجعل يدك في يدي؛ فإن قبضتُ عليها وعصرتها، فاعلم أنه لم يُقْبَلْ مني شيءٌ منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة!! وإن بسطتُ يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قد قُبِلَت، وأني قد ظفرتُ بما كنت أرجوه من النية!!

ففعل به ذلك الشخص، فبسط يده ولم يقبضها!!

فعلم أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه[٢].

* * *

(١) «قيمة الزمن عند العلماء» لأبي غدة (٧٥).

(٢) «علو لهمة» السيد العفاني (١، ١٢٢).

❑ احْتِضَارُ الْبُوَيْطِيِّ:

قال الربيع: لقد رأيت البويطي على بغل في عنقه غلٌّ، وفي رجليه قَيْدٌ، وبينه وبين الغُلِّ سلسلة فيها لَبِنة وزنُها أربعون رِطْلًا، وهو يقول: إنما خلق اللَّه الخلق بـ«كُنْ»، فإذا كانت مخلوقة، فكأنَّ مخلوقًا خُلق بمخلوق. ولئن أُدخلتُ عليه لأَصْدُقَنَّهُ ـ يعني: الواثق ـ، ولأموتَنَّ في حديدي هذا حتى يأتي قومٌ يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم!!

قال الذهبي: مات البويطي في قيدِهِ مسجونًا بالعراق في سنة إحدى وثلاثين ومئتين(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ قَاضِي بلنسية أَحْمَدَ بْنِ جحاف:

قام القاضي بتحصين المدينة (بلنسية)، وحشد الحشود ضد الخطر النصراني الذي كان يتهددهم، فغضب النصارى منه، فحاصروا المدينة حتى عُدِمَ النَّاسُ الطعامَ، وأكلوا الكلاب والجِيَف!!

وَمَنْ مات منهم أكلوه إلى أن أكل الناسُ الناسَ!!

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ٥٩).

فلما ضاق الناس بالحصار الذي كان اثني عشرَ شهرًا، أصروا على القاضي أن يُسَلِّمَ المدينة لهم، فلما دخل النصارى قاموا بتعذيب القاضي عذابًا شديدًا!!

فجمعوا له الحطب الكثير، وأوقدوا له النار، وحفرت له حفرة وأقيم فيها، فكان يَضُمُّ النار إليه بيديه؛ ليكونَ ذلك أسرعَ لخروج روحه!![1].

❑ اختِضَارُ الْـمَرَّارِ بْنِ حَمُّوَيَه:

المرار بن حمويه شيخ همذان الإمام الحافظ الفقيه، قال عبدالله الدُّحَيْمِي: سمعت المرار يقول: «اللَّهمَّ ارزُقْني الشَّهَادَة». وأمرَّ يدَهُ على حَلْقِهِ!!

فلما وقعت الفتنة بين الشيعة والسُّنَّة، هرب الْـمَرَّارِ إلى «قُمَّ»، ثم لحقوا به، وأظهر مخالفتهم في التشيُّع وكاشفهم، فأوقعوا به وقتلوه!!

قال صالح التميمي: قتل الْـمَرَّارِ في السُّنة شهيدًا، وكان ثقةً عالمًا فقيهًا سُنِّيًّا.

* * *

(١) «الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم» للسحيباني (١٩٢).

❑ احْتِضَارُ قَاضِي (بَرْقَةَ) مُحَمَّدِ بْنِ الْحُبُلي:

أتاه أمير برقة ـ وكان من الفاطميين العبيديين ـ، فقال: غدًا العيد!! قال: حتى نرى الهلال، ولا أُفَطِّر الناس، وأتقلَّد إثمهم.

فقال: بهذا جاء كتاب المنصور ـ وكان هذا رأي العبيدية؛ يفطِّرون بالحساب، ولا يعتبرون رؤية، فلم يُر هِلال، فأصبح الأمير بالطُّبول والبُنُود، وأهبة العيد.

فقال القاضي: لا أخرج ولا أصلي. فأمر الأميرُ رجلًا خَطَبَ، وكتب بما جرى إلى المنصور، فَطَلَبَ القاضي إليه، فأُحضِر، وقال: تَنصَّلْ، وأعفو عنك!!

فامتنع!! فأمر به فَعُلِّق في الشمس إلى أَنْ مات، وكان يستغيث العطش، فلم يُسقَ. ثم صلبوه على خشبة!! فلعنةُ اللَّهِ على الظَّالمين[١].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥، ٣٧٤).

احْتِضَارُ الْقُرَّاءِ

نَسِيرُ إِلَى الْآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ رَوَاحِلُ
تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ

* * *

❑ احتِضَارُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْمُهَاجِرِ:

إن إسماعيل بن المهاجر لما حضرته الوفاة جمع بَنِيهِ، وقال: يا بني عليكم بتقوى اللَّه، وعليكم بالقرآن فَتَعَاهَدُوهُ، وعليكم بالصِّدق حتى لو قَتَلَ أحدُكم قتيلًا، ثم سُئِلَ عنه أقرَّ به!!.

واللَّه ما كذبتُ كذبة مُنْذُ قرأتُ القرآن!!

يا بني! وعليكم بسلامة الصدر لعامة المسلمين، فواللَّه لقد رأيتني وأنا لا أَخْرُجُ من بابي وما أَلقَىٰ مسلمًا إلَّا والذي في نفسي له كَالَّذِي في نفسي لنفسي!! أفترون أني لا أُحِبُّ لنفسي إلا خيرًا[١]!!

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦، ٨٦).

❑ احْتِضَارُ النَّقَّاشِ:

قال ابنُ الفَضْل القَطَّان: حضرتُ النقَّاش وهو يَجُودُ بنفسه، فنادى بأعلى صوته: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ - يرددها ثلاثًا.. ثم خَرَجَتْ نَفْسُهُ(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النُّجُودِ:

قال أبو بكر بن عياش: دَخَلْتُ على عاصم بن أبي النَّجود وهو في الموت، فقرأ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾ فَهَمَز، فعلمتُ أنَّ القراءة منه سجية(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ ابْنِ إِدْرِيسَ الْمُقْرِي:

لما نزل بابن إدريس الموت، بَكَتِ ابنته، قال: لا تبكي يا بنية؛ فقد خَتَمْتُ القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة(٣).

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥، ٥٧٦).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٢٦٠).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦، ٢٩١).

احْتِضَارُ الصَّالِحِينَ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
وَلَاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ مِثْلَهُ
وَأَنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

* * *

❑ احْتِضَارُ ابْنِ خِضْرَوَيْهِ:

إن محمد بن خضرويه ـ وهو ينزع ـ سُئِلَ عن شيءٍ، فقال: بابًا كنتُ أقرعُه منذ خمس وتسعين سنة الساعة يفتح!! لا أدري يفتحُ بالسعادة أم بالشقاء!![1].

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي بَكْرِ بْنِ سَلم:

قيل لأبي بكر بن سلم ـ وهو يموت ـ: أبقاك اللَّه! أيها الشيخ! فقال ابن سلم: ما أُحِبُّ البقاء!! لأني منذ سنة لم أحضر الجمعة،

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١، ٤٨٨).

وهذه السنة كلها لم أنم باللَّيل على سطح، ومنذ شهر لم آكل الخبز، إنما أَسَفُّ الفتيت!! فلستُ أحبُّ الحياة وهذه حالي!!

فانصرفنا من عنده، ولم نلبث إلَّا قليلًا حتَّى مات(١).

* * *

❑ احتضار الغزنوي:

عبدالرزاق الغزنوي شيخ رباط، مات ولم يترك كفنًا، وقد قَالَتِ امرأَتُهُ وهو يحتضر: سنفتضح اليوم!!

قال: لِمَ؟! قالت: لأنه لا يوجد لك كفن.

فقال لها: لو تركت كفنًا لافتضحت!(٢)

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي وَهْبِ الأَنْدَلُسِي:

إنه باع مَاعُونَه قبل مَوْتِهِ. فقيل: ما هذا؟ قال: أريد سَفَرًا! فماتَ بَعْدَ أيَّام يسيرة(٣).

* * *

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٤، ٧٢).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢، ١٦٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥، ٥٠٧).

❏ احْتِضَارُ السَّرِّي بْنِ الْمُغَلِّس السَّقَطِيِّ:

قال الجُنَيْدُ: دخلت على السري وهو يجود بنفسه، فقلتُ: أَوْصِني! قال: لا تصحبِ الأشرارَ، ولا تشتغلَنَّ عَنِ اللَّهِ بمجالسة الأخيار(١).

* * *

❏ احْتِضَارُ أَبي طالِبِ الزَّاهِدِ:

قال أبو القاسم بن بشران: دخلتُ على شيخنا أبي طالب، فقال: إذا علمت أنه قد ختم لي بخير، فانْثُر على جنازتي سكرًا ولوزًا، وقل: هذا الحاذق، وقال: إذا احتضرت فخذ بيدي، فإذا قبضت على يدك، فاعلم أنه قد ختم لي بخير. فقعدت، فلما كان عند موته، قبضَ على يدي، قبضًا شديدًا!! فنثرتُ على جنازته سكرًا ولوزًا(٢).

* * *

❏ احْتِضَارُ أَحَدِ الصَّالِحِينَ:

قال منصورُ بنُ عمَّار: حَجَجْتُ، فَبِتُّ بالكوفة، فخرجتُ في

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ١٨٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦، ٥٣٧).

الظَّلْماء، فإذا بصارخٍ يقول: إلهي، وعزَّتك ما أردتُ بمعصيتي مخالَفتَك، وعصيت ما أنا بنكالِكَ جاهلٌ، ولكن خطيئة أعانني عليها شَقائي، وَغَرَّني سترُك، فالآن مَنْ يُنْقِذُني؟!!

فتلوتُ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، فسمعتُ دَكْدَكَةً!! فلمَّا كان من الغد، مررتُ هناك، فإذا بجنازة.

وعجوزٌ تقولُ: مَرَّ البارحة رجلٌ تلا آيةً، فتفطَّرت مَرارَتُهُ، فوَقَعَ ميتًا(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَانِئٍ:

قال أبو بكر بن زياد: حَضَرْتُ إبراهيم بن هانئ عند وفاته، فقال: أنا عطشان! فجاءه ابنه بماء، فقال: أغابت الشمس! قال: لا.

قال: فرده وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ ثم مات(٢).

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩، ٩٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣، ١٨).

❑ احتِضَارُ أَبِي بَكْرٍ الشِّبْلِيِّ:

أبو بكر الشبلي لما حضرته الوفاة قال لخادمه: قد كان عليَّ درهم مظلمة، فتصدقت عن صاحبه بألوفٍ، ومع هذا ما على قلبي شغل أعظم منه!! ثم أمره أن يوضِّئَهُ، فوضأه وترك تخليل لحيته، فرفع الشبلي يده ـ وقد كان اعتقل لسانه ـ، فجعل يخلِّل لحيته(١).

* * *

❑ احتِضَارُ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْمَرِ:

قال ابن أبي شيبة: دخلت على أبي خالد الأحمر وهو يموت، وليس في بيته إلا مِخَدَّة ورأسه عليها، وهو يقول: يا نفس اخْرُجِي، اخْرُجِي، فوالله لَخروجك أَحَبُّ إليَّ من بقائك في بَدَني(٢)!!

* * *

❑ احتِضَارُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ:

عن يزيد قال: عدت مع خالي ـ علي بن مسلم ـ أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع، فقلت له: رحمك الله! لو جَرِعْتَ جَرْعَةَ ماءٍ!!

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ٢٢٩).

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب (٩، ٢٣).

فقال بيده: لا! ثم جاء اللَّيل، فأذن!
فقلت: نعم! فقطرنا في فَمِهِ قطرة ماء، ثم غمضناه!! فمات[١].

* * *

❑ احتِضَارُ أَحَدِ الصَّالِحِينَ:

وَعَظَ عبدُالواحد الزاهد القدوة، فنادى رجل: كُفَّ، فقد كشفتَ قِناع قلبي!! فما التَفَتَ، وَمَرَّ في الموعظة، فَحَشْرَجَ الرَّجُلُ ومات، فشهدتُ جِنازته[٢].

* * *

❑ احتِضَارُ عَلِيِّ بنِ الفُضَيلِ:

علي بن الفضيل من كبار الأولياء، مات قبل أبيه من آية سَمِعَهَا.

قال إبراهيم بن بشار: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في «الأنعام»: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾. مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صَلَّى عليه[٣].

* * *

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦، ٨٩).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧، ١٧٩).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨، ٤٤٦).

❑ احْتِضَارُ وَرْقَاءَ بْنِ عُمَرَ:

عن إسماعيل بن عمر قال: دخلنا على ورقاء بن عمر وهو في الموت، فجعل، يُهَلِّل ويكبر، ويذكر اللّٰه!

وقال لابنه: يا بني اكفني ردَّ السَّلام على هؤلاء، لا يشغلوني عن رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ!![1].

* * *

❑ احْتِضَارُ هَارُونَ بْنِ رِئَابٍ:

قال جعفر بن سليمان: عُدتُ هارون بن رئاب، وهو يجود بنفسه، فما فقدتُ وجه رجل فاضل إلَّا رأيتُهُ عنده!

فقال محمد بن واسع: كيف تَجِدُك؟

قال: هو ذا أخوكم؛ يُذهب به إلى النار، أو يعفو اللّٰه[2]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ:

عن ابن السماك قال: دخلتُ على يزيد الرقاشي وهو في الموت،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧، ٤٢٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٢٦٤).

فقال لي: سَبَقَني العابدون وقطع بي!! وا لهفاهُ[١]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ أزدامرد:

عن موسى قال: دخلتُ على أزدامرد وهو ثقيل، فإذا هو كالخفاش ـ يشير إلى ضآلته ـ لم يَبْقَ إِلَّا رأسه، فقلت له: يا هذا ما حالك؟!

قال: وما حال مَنْ يُرِيدُ سفرًا بعيدًا بغير زاد، وَيَنْطَلِقُ إلى ملك عدل بغير حجَّة، وَيَدْخُلُ قبرًا موحشًا بغير مؤنس؟[٢]

* * *

❑ احْتِضَارُ أَحَدِ الصَّالِحِينَ:

عن عبدالله بن شبرمة أنه قال: دخلتُ مع عامر الشعبي على مريضٍ نَعُودُهُ فوجدناه لما به، ورجل يُلَقِّنُهُ الشَّهادة!! ويقول له: قل لا إله إلا الله. وهو يُكثر عليه، فقال له الشعبي: ارفق به!

فتكلم المريض وقال: إن تُلقِّني أو لا تُلَقِّني، فإني لا أدعها!! ثم

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣، ٢٢٩).

(٢) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣، ٢٢٩).

قرأ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

فقال الشعبي: الحمد لله الذي نَجَّىٰ صاحبنا هذا[1].

* * *

❑ احْتِضَارُ حَمْدَانَ الْوَرَّاقِ:

حمدان الوراق، قال في عِلَّة الموت: ما لَصِق جلدي بجلد ذَكَرٍ ولا أنثى قَطُّ[2]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ:

إن الربيع بن خثيم عندما حضرته الوفاة، قال لابنته لما بَكَتْ: يا بنية لِمَ تبكين!! قولي: يا بُشْرَايَ أتى الخير!!

وكان يقول: أكثروا ذِكْرَ هذا الموت، الَّذِي لم تذوقوا قبله مِثْلَهُ[3]!!

* * *

(١) «التذكرة في أُحوال الموتى» للقرطبي (٣٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣، ٥٠).

(٣) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢، ١١٤).

❑ احْتِضَارُ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ:

إن معروفًا كان مِنَ العُبَّاد، قيل له في مَرَضِ موته: أَوْصِ!

قال: إذا متُّ فتصدَّقوا بقميصي؛ فإني أريد أن أخرج مِنَ الدُّنيا عريانًا كما دخلت عريانًا(١)!!

* * *

❑ احْتِضَارُ هَرِمِ بْنِ حَيَّانَ:

هرم بن حيان لما حضره الموت قيل له: أَوْصِ!!

قال: ما أدري ما أوص!! لكن بيعوا درعي؛ فاقضوا عَنِّي دَيْنِي؛ فَإِنْ لم يبق فبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم النحل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي الْقَاسِمِ الدَّيْنُورِيِّ:

إن أبا القاسم الدنيوري لما حضرته الوفاة، جعل يقول: سيِّدي! لهذه الساعة خبأتك(٣)!!

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٥، ٢٣٢).

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢، ١٢١).

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ٣٦١).

❑ احْتِضَارُ بِشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ:

لما احتُضِرَ بشر بن منصور، قيل له: أوص بِدَيْنِكَ.

قال: أنا أرجو ربي لذنوبي، أفلا أرجوه لِدَيْنِي!! فلمَّا مات قَضَىٰ عنه دَيْنَهُ بَعْضُ إخوانه(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ الْجُنَيْدِ:

قيل للجنيد عند موته: قل: لا إله إلا اللَّه.

فقال: ما نسيتُهُ فأذكره(٢)!!

* * *

❑ احْتِضَارُ الْقُرْطُبِيِّ:

احتُضِرَ أحد المشايخ بقرطبة يقال له: القرطبي، فقيل له: قل: لا إله إلا اللَّه!!

فكان يقول: لا، لا، لا!! فلما أفاق ذَكَرْنَا له ذلك.

فقال: أتاني الشيطان عن يميني وعن شمالي، يقول أحدهما: مت

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦، ٢٤٢).

(٢) «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» للقرطبي (٣٦).

يهوديًا؛ فإنه خير الأديان!! والآخر يقول: مت نصرانيًا؛ فإنه خير الأديان! فكنت أقول لهما: لا، لا، لا، إليَّ تقولان هذا[1]؟!!

* * *

□ اختِضَارُ جَعْفَرِ الْمُرْتَعِشِ:

عندما حَضَرَتِ الوفاة جعفرًا في المسجد، قال لأصحابه: انظروا ديوني؟

فنظروا، فقالوا: بضعة عشر درهمًا!!

فقال: انظروا خريقاتي، فاجعلوها في ديوني، وأرجو أن اللَّه يعطيني الكفن!

ثم قال: سألت اللَّه ثلاثًا عند موتي فأعطانيها!!

سألته: أن يميتني على الفقر رأسًا برأس، وسألته: أن يجعل موتي في المسجد، فقد صحبت فيه أقوامًا، وسألته: أن يكون حولي مَنْ آنسُ به وأصحبه!! وغمض عينيه، ومات بعد ساعة[2]!!

* * *

(١) «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» للقرطبي (٤٠).

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١٣، ٥٠).

❑ احْتِضَارُ أَحَدِ التَّائِبِينَ:

قال أبو غالب: دخلتُ يومًا على فتًى مريض، من جيران أبي أمامة، وعندهم عَمٌّ له وهو يقول له: يا عدو اللَّه! ألم آمرك؟ ألم أنهاك؟

فقال الصبي: يا عَمَّاهُ! لو أن اللَّه ـ تَعَالَى ـ دفعني إلى والدتي، كيف كانت صانعة بي!!

قال: كانت تدخلك الجنة!!

قال: إِنَّ رَبِّي اللَّه أشفق من والدتي، وأرحم بي منها!!!

وقبض الفتى من ساعته، فلما جهزه عَمُّهُ، وصلَّى عليه، وأراد أن يضعه في لحده، فدخلتُ القبر مع عَمِّهِ، فلما سواه، صاح وفزع، فقلتُ له: ما شأنك؟

قال: فسح له في قبره، وملئ نورًا؛ فدهشت منه[١]!!

* * *

(١) «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» للقرطبي (٤١٤).

□ احْتِضَارُ ابْنِ حَلْبَسٍ:

قال الهيثم: كُنْتُ جالسًا عند ابن حَلْبَس، وكان يدعو عند المغيب: «اللَّهُمَّ ارزُقْنَا الشَّهادةَ في سَبِيلِكَ!!».

فأقول: مِن أين يُرْزَقُها وهو أعمى؟!

فلما دخلت المسوِّدة دمشق، قُتِلَ، فبلغني أن اللَّذَيْنِ قتلاه بَكَيَا لما أُخْبِرَا بِصَلَاحِهِ[1]!!

* * *

□ احْتِضَارُ رَبيع الْقَطَّانِ:

كان لسان أفريقيا في وقته في الزهد والرقائق، وجعل على نفسه أن لا يشبع من طعامٍ ولا نومٍ حتى يقطع اللَّه دولة بني عبيد!!

فَرَكِبَ فَرَسَه مُلبسًا، وفي عُنُقِهِ المصحفُ، وحَولَه جَمْعٌ كبير، وهو يتلو آيات جهاد الكَفَرَة، فَاسْتُشْهِدَ ربيعٌ في خَلْقٍ من الناس يومَ المَصَافِّ في صفر سنة أربع وثلاثين، وكان غَرضُ هؤلاءِ المجوسِ بني عُبيد أَخْذَهُ حيًّا ليُعذِّبُوه[2].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ٢٣٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥، ١٥٦).

احْتِضَارُ الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ

أَيْنَ الـمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ لِعِزَّتِهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَفِدُ
حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلَا كَذِبٍ لَا بُدَّ مِنْ وُرُودِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

* * *

❑ احْتِضَارُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ:

لما احتُضِرَ معاوية، قيل له: ألا تُوصي؟ فقال: اللَّهُمَّ أقل العثرة، واعْفُ عن الزلَّة، وَتَجَاوَزْ بحلمك عن جهل مَنْ لم يَرْجُ غيرك، فما وراءك مذهب. وقال:

هُوَ الْمَوْتُ لَا مَنْجىٰ مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِي
نُـحَـاذِرُ بَـعْـدَ الْمَوْتِ أَدْهَـى وَأَفْـظَـعُ

ولما ثَقُلَ قال: احشُوا عيني بالإِثْمِد، وَأَوْسِعُوا رأسي دُهنًا. ففعلوا، وبرَّقوا ـ لمعوا ـ وجهه بالدهن، ثم مُهِّدَ له وأُجلس وسُنِد، ثم قال: لِيَدْنُ مني الناسُ فليُسلِّموا قِيامًا!! فيدخُل الرجُلُ، ويقول: يقولون هو لما به، وهو أصَحُّ الناس!! فلما خرجوا، قال معاوية:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعْضَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وأخرجَ معاويةُ يديه كأنَّهما عسيبا نخلٍ، فقال: هل الدُّنيا إلا ما ذُقْنَا وجـرَّبنا!! واللَّهِ لوددتُ أنِّي لم أَغْبُرْ فيكم إلا ثلاثًا، ثم ألحقُ باللَّه!

قالوا: إلى مغفرة اللَّه ورضوانه. قال: إلى ما شاء اللَّه. قد علم اللَّهُ أنِّي لم آلُ ولو أراد اللَّهُ أن يُغَيِّر غيَّر!![1]

* * *

❑ احْتِضَارُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ:

لما احتُضِرَ عمرو بن العاص، قال: كيلوا مالي! فكالوه، فوجدوه اثنين وخمسين مُدًّا، فقال: مَنْ يأخذُه بما فيه؟ يا ليته كان بعرًا!!

قال: والمدُّ ست عشرة أوقية، والأوقية: مكوكان. ثم أمر الحرس فأحاطوا بقصره، فقال بنوه: ما هذا؟!

فقال: ما ترونَ هذا يُغني عني شيئًا وكان يقول: عجبًا لمن نزلَ به الموتُ وعقلُه معه، كيف لا يصفُه؟ فلما نزلَ به الموتُ، ذَكَّرَهُ ابْنُهُ بقوله، وقال: صِفْهُ.

قال: يا بُنيَّ! الموت أَجَلُّ من أن يُوصف، ولكني سأصفُ لك؛

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/١٦٠).

أجدني كأن جبال رضْوَى على عُنُقي، وكأن في جوفي الشوكن وكأن نفسي يخرج من إبرة!!

ودعا حَرَسَهُ عند الموت، فقال: امنعوني من الموت!!

قالوا: ما كنا نحسِبُكَ تكلَّم بهذا!. قال: قد قلتُها، وإني لأعلم ذلك، ولأن أكون لم أتَّخذ منكم رجلًا قطُّ يمنعني من الموت أحبُّ إليَّ من كذا وكذا!! فيا ويحَ ابن أبي طالب؛ إذْ يقولُ: حَرَسَ امرءًا أجلُه! ثم قال: اللَّهُمَّ لا بَرِيء فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، وإن لم تدركني منك رحمة، أكُنْ من الهالكين[1].

* * *

❑ احْتِضَارُ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ:

عن أبي مُلَيْكة، قال: شهدتُ عبدالعزيز بن مروان عند الموت، يقول: يا ليتني لم أَكُنْ شيئًا، يا ليتني كهذا الماء الجاري!!

وقال: هاتوا كَفني! أُفٍّ لكِ ما أقْصَرَ طويلَكِ، وأقلَّ كثيرَكِ!!

وأتاه البشير يُبشِّرهُ بماله الواصل في العام، فقال: ما لك؟ قال: هذه ثلاث مئة مُدْي من ذَهَب!! قال: ما لي وله!! لَوَدِدْتُ أنه كان بَعْرًا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣، ٥٥).

حائلًا بِنَجْد[1]!!

* * *

❏ احْتِضَارُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ:

قال ابن عُيَيْنة: قلت لعبد العزيز بن عمر: ما آخِرُ ما تكلَّم به أبوك؟

قال: كان له مِنَ الولد: أنا، وعبداللَّه، وعاصم، وإبراهيم، وكنَّا أُغَيْلمةً، فجئنا كالـمُسَلِّمِينَ عليه، وكالمودِّعين له، فقيل له: تركت ولدَك ليس لهم مالٌ، ولم تُؤْوِهِمْ إلى أحد؟!

فقال: ما كنت لأُعطِيهُم ما ليس لهم!! وما كنتُ لآخُذَ منهم حقًّا هو لهم، وإنَّ وليِّي اللَّه فيهم الذي يتولَّىٰ الصالحين، إنما هم أحدُ رجلين: صالح أو فاسق!!

وقيل إنه قال: أَجلِسوني. فأَجلَسُوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصَّرت، ونهيتني فعصيتُ ـ ثلاثًا ـ، ولكن لا إله إلا اللَّه، ثم أحدَّ النَّظر، وقال: إني لأرى خُضرةً ما هُم بِإنسٍ ولا جِنٌّ. ثم قُبِضَ.

وكان يقول في مرضه: اللَّهُمَّ أَخْفِ عليهم أَمْرِي ولو ساعةً.

قالت زوجته: قلت له: ألا أخرجُ عنك، فإنك لم تنم. فخرجتُ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤، ٢٤٩).

فجعلت أسمعُهُ يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ثم أطرق، فلبثتُ طويلًا لا يُسمع له حِسٌّ، فقلت لِوَصِيف: ويحك! انْظُر.

فلمَّا دَخَلَ صاحَ، فدخلتُ عليه، فوجدته ميتًا، قد أقبل بوجهه إلى القِبلة[1].

* * *

❑ احْتِضَارُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْأَشْدَقِ:

عن عمرو بن سعيد الأشدق الأموي؛ أنه قال لأهله قبل مَقْتَلِهِ، رأيتُ عثمان بن عفان أَتَانِي في المنام البارحة، فألبسني قميصه... فقتل[2].

* * *

❑ احْتِضَارُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِالْمَلِكِ:

قال رجاء بن حيوة: دخلتُ على سليمان بن عبدالملك وهو يموت، فجعلتُ إذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرفته إلى القِبلة، فجعل يقول وهو يفارق: لم يأن لذلك بَعْدُ يا رجاء!!

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥، ١٤١).
(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧، ٣١١).

حتى فعلت ذلك مرتين، فلمَّا كَانَتِ الثالثة قال: مِنَ الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئًا، أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه.

فحرفته، ومات، فلمَّا غمضته، سجيته بقطيفة خضرا[١].

* * *

❑ احْتِضَارُ الْمُهْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ:

دخل عليه الأتراك ليقتلوه - موسى بنِ بغا وأصحابه -، فخرج إليهم متقلدًا سيفًا، وقال لهم: قد بلغني ما تَمَالأْتُمْ عليه من أمري، وإني واللَّه ما خرجتُ إليكم إلَّا وأنا متحنط، وقد وصيت أخي بولدي!! وهذا سيفي!! وواللَّه لأضربن به ما استمسك قَائِمُهُ بيدي، وواللَّه لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن بدلها منكم!! وليذهب بها أكثركم!!

أَمَا دِينٌ!!

أَمَا حَيَاءٌ!! أَمَا تَسْتَحْيُونَ!!

كم يكون هذا الإقدام على الخلفاء والجرأة على اللَّه، سواءٌ عندكم مَنْ قَصَدَ الإبقاءَ عليكم والسيرةَ الصالحة فيكم، وَمَنْ كان يدعو بأرطال الشراب المسكر، فيشربها بين أظهركم وأنتم لا تُنكرون

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦، ١١٧).

ذلك، ثم يستأثر بالأموال عنكم وعن الضعفاء، هذا منزلي فاذهبوا فانظروا فيه وفي منازل إخواني ومن يتصل بي، هل ترون فيها من آلات الخلافة شيئًا، أو من فرشها، أو غير ذلك؟! وإنما في بيوتنا ما في بيوت آحاد الناس، ثم قُتِلَ(١)!!

* * *

❏ احْتِضَارُ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ:

معاوية بن يزيد جاء بعد والده يزيد بن معاوية، فَمَرِضَ بعد شهرين، فقالوا له: استخلف!! فقال: ما أصبتُ مِنْ حلاوتها فلِمَ أتحملُ مرارتها!!(٢).

* * *

❏ احْتِضَارُ الْحَجَّاجِ:

إن الحجاج لما حضرته الوفاة، أحضر مُنَجِّمًا، فقال له: هل ترى في عِلْمِكَ ملكًا يموت؟

قال: نعم: وَلَسْتَ هو!

فقال: وكيف ذلك؟ فقال المنجم: لأن الذي يموت اسمه

---

(١) «علو الهمة» لسيد العفاني (٦، ٩٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣، ٥٤٦).

«كليب»! فقال: أنا هو والله، بذلك سَمَّتْني أُمِّي. فأوصى عند ذلك، وكان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه، وسلط الله عليه الزمهرير، فكانت الكوانين تُجْعَلُ حوله مملوءة نارًا، وَتُدْنَى منه حتى تحرق جلده، وهو لا يُحِسُّ بها، وشكا ما يجده إلى الحسن البصري، فقال: قد كنتُ نهيتُك ألَّا تتعرض للصالحين، فَلَجِجْتَ. فقال له: يا حسن لا أسألك أَنْ تَسْأَلَ الله أن يُفَرِّجَ عَنِّي، ولكن أسألك أن تسأله أن يُعَجِّلَ قبض روحي، ولا يطيل عذابِي!! فبكى الحسن بكاءً شديدًا!(١).

* * *

❑ احتِضَارُ عَبدِاللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ:

إن عبدالله بن الزبير أثناء حصار الحَجَّاجِ له وقتاله، صَلَّى بالناس فلما فرغ؛ أَمَرَ أهلَهُ، وَحَضَّهُمْ على القتال، وقال: ألا مَنْ كان سائلًا عَنِّي، فإني في الرعيل الأول، احملوا على بركة الله وعونه. ثم حمل حتى بلغ بهم الحجون، فَرُمِيَ بِآجُرَّةٍ فَأَرْعَشَ لها وَدَمِيَ وَجْهُهُ، فلما وجد سخونة الدَّم على وَجْهِهِ ولحيته، قال:

فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا
وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرَ الدَّمَا

(١) «وفيات الاعيان» لابن خلكان (٢، ٥١).

ثم جعلت الجيوشُ تدخلُ عليه من كل أبواب المسجد، فكلما دخل قومٌ من باب حمل عليهم وحده حتى يُخرجهم، فبينا هو على تلك الحال؛ إذ وقعت شرفة من شرفات المسجد على رأسه، فصرعَتْهُ، وهو يتمثَّل:

أَسْمَاءُ يَا أَسْمَاءُ لَا تَبْكِينِي
لَمْ يَبْقَ إِلَّا حَسَبِي وَدِينِي
وَصَارِمٌ لَانَتْ بِهِ يَمِينِي(١)

* * *

□ احْتِضَارُ الْمَنْصُورِ:

إن المنصور لما احتُضِرَ، قال لوزيره الربيع: يا ربيع! بعنا الآخرة بنومة. وقال: اللَّهُمَّ إني قد ارتكبتُ عظائم؛ جرأة منِّي عليك، وقد أطعتُكَ في أحبِّ الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا اللَّه، مَنًّا مِنْكَ لا مَنًّا عليك!! ثم مات(٢).

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣، ٣٧٧).
(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢، ٢٩٥).

❑ احْتِضَارُ هَارُونَ الرَّشِيدِ:

لما احتُضِرَ هارون أمير المؤمنين، أَمَرَ خَادِمَهُ أن يأتيه بأكفانه، فأتاه بها، ثم أمر فحفر له قبره، ثم أمر فحمل إليه، وجعل يتأمله ويقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾.

وقيل: إنه أحضر طبيبًا طوسيًّا فارسيًّا، وأمر أن يعرض عليه ماؤه ـ أي: بوله ـ مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء.

فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد، فقال: قولوا لصاحب هذا الماء يوصي!! فإنه قَدِ انْحَلَّت قواه، وتداعت بنيته! ولما استعرض باقي الماء، أقيم فذهب.

فيئس الرشيد من نفسه وأنشد:

إِنَّ الطَّبِيبَ بِطِبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ نَحْبٍ قَدْ أَتَىٰ
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِالدَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِأُ مِثْلَهُ فِيمَا مَضَىٰ
مَاتَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَىٰ وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ اشْتَرَىٰ

وبلغه أن الناس قد أرجفوا بموته، فاستدعى حمارًا، وأمر أن يحمل عليه، فاسترخت قدماه.

فقال: أنزلوني، صدق المرجفون! ودعا بأكفان، فتخير منها ما أعجبه، وأمر فشُقَّ له قبرًا أمام فراشه، ثم اطَّلَعَ فيه، فقال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ

عَنِّي مَالِيَهْ﴾، حتى مات[(١)].

* * *

❏ احْتِضَارُ الْمُعْتَصِمِ:

إن المعتصم في مرض موته، قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾. وجعل يقول: ذَهَبَتِ الحيلةُ فليس حيلة! حتى صَمَتَ[(٢)].

* * *

❏ احْتِضَارُ الْوَاثِقِ:

لما احتُضر الواثقُ، جعل يقول:

الْمَوْتُ فِيهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ مُشْتَرِكٌ   لَا سُوقَةٌ مِنْهُمُ يَبْقَى وَلَا مَلِكُ

ثم أمر بالبُسطِ فطويت، وألصَقَ خدَّهُ بالتراب، وجعل يقول: يا مَنْ لا يَزُولُ مُلْكُهُ، ارْحَمْ مَنْ قَدْ زَالَ مُلْكُهُ!!.

وَرَوَى أميرُ البصرة، عن أبيه، قال: كنت أُمَرِّضُ الواثِقَ، فلحِقَتْهُ غَشيةٌ، فما شككنا أنَّه ماتَ، فقال بعضُنا لبعض: تقدَّموا!! فما جسر أحدٌ سِوَاي، فلما أن أردتُ أن أضعَ يدي على أنفه، فتح عينه؛

---

(١) «التذكرة في أحوال الموتى» للقرطبي (٢٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠، ٣٠٥).

فَزِعِبْتُ!! ورجعتُ إِلَى خلفٍ، فتعلَّقَتْ قَبِيعَةُ سَيفي بالعَتَبة، فعثرتُ وانْدَقَّ السَّيفُ، وَكادَ أن يَجرحَني واستدعيتُ سَيفًا، وجئت، فوقفتُ ساعةً، فَتلِفَ الرَّجلُ، فشددتُ لَحيَيْهِ، وغمَّضتُه وَسَجَّيْتُهُ، وأخذ الفَرَّاشُون ما تحته ليردُّوه إلى الخزائن، وَتُرِكَ وحدَه، فقال ابنُ أبي داود: إنا نُرِيدُ أن نَتشاغلَ بعقدِ البيعة، فاحفَظْه، فرددتُ بابَ المجلس وجلستُ عند الباب، فَحَسَسْتُ بعدَ ساعةٍ بِحركةٍ أفزعتني، فَأَدخلُ فإذا بجرذَونٍ قد استَلَّ عين الواثق فَأَكَلَهَا!! فقلت: لا إله إلا اللَّه، هذه العينُ التي فتحها من ساعة، فاندق سيفي هَيْبَةً لها[1]!!

* * *

❏ احْتِضَارُ الْـمُقْتَدِرِ:

حين قُدِّم المقتدر ليقتل، أنشأ يقول:

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا رُوَيْدًا أَمَامَكُمُ المَصَائِبُ وَالْخُطُوبُ
هُوَ الدَّهْرُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ إِلَيْكُمُ مِنْهُ ذُنُوبُ[2]

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠، ٣١٤).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ٣٩).

□ احْتِضَارُ الْمُعْتَضِدِ:

إن المعتضد قبل موته قال:

تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنيَا فَإِنَّكَ لَا تَبقَى
وَخُذْ صَفوَهَا مَا إِنْ صَفَتْ وَدَعِ الرَّنْقَا
وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ
فَلَمْ يُبْقِ لِي حَالًا وَلَمْ يَرْعَ لِي حَقًّا
فَلَمَّا بَلَغْتُ النَّجْمَ عِزًّا وَرِفْعَةً
وَدَانَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعَ لِي رَقًّا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخْمَدَ جَمْرَتِي
فَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلًا مُلْقَى

ثم إنهم شَكُّوا في موته، فتقدَّم الطبيب، فجسَّ نَبْضَهُ، ففتح عينه، فَرَفَسَ الطبيبَ دَحْرَجَهُ أَذْرُاعًا، فمات الطبيب، ثم مات المعتضد من ساعته[١].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣، ٤٧٧).

❑ احتِضَارُ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ السُّلَمِيِّ:

محمد بن محمد أبو الفضل السلمي الوزير الفقيه، المحدث الشاعر، سَمِعَ الكثير، وجمع وصنَّف، وكان يصوم الاثنين والخميس، ولا يَدَعُ صلاة اللَّيل والتصنيف، وكان يسأل اللَّه الشهادة كثيرًا.

فَوَلِيَ الوزارة للسطان، فقصده الأجناد فَطَالَبُوهُ بأرزاقهم، واجتمع منهم خلقٌ كثيرٌ بِبَابِه!!

فَاسْتَدْعَى بحلاقٍ فحلق رأسَه، وَتَنَوَّرَ وتطيَّب، ولبس كَفَنَهُ، وقام يُصلِّي!!

فدخلوا عليه، فقتلوه وهو ساجد(١)!!

* * *

❑ احتِضَارُ الْـمُكْتَفِي باللَّهِ:

إن المكتفي باللَّه بن المعتضد، عندما حضرته الوفاة، أَوْصَىٰ بِصَدَقَةٍ من خالص مَالِهِ (ست مئة ألف دينار)، وكان قد جمعها وهو صغير(٢).

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ٢٢٩).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ١١٢).

❑ احْتِضَارُ الْعَاضِدِ:

إن العاضد عَمِلَ قبل موته بثلاثِ ليالٍ هذه الأبيات:

نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ وَنَوْمٍ وَلِلْمَوْتِ عُيُونٌ يَقْظَانَةٌ لَا تَنَامُ
قَدْ رَحَلْنَا إِلَىٰ الْحِمَامِ سِنِينًا لَيْتَ شِعْرِي مَتَىٰ يَكُونُ الحِمَامُ(١)

* * *

❑ احْتِضَارُ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ:

إن المنتصر باللَّه قال في مرض موته: ذَهَبَتْ يَا أُمَّاهُ مِنِّي الدُّنيا والآخرة! عَاجَلْتُ أبي فَعُوجِلْتُ!! وكان يُتَّهَمُ بأنه وَاطَأَ على قتل أبيه، فما أُمْهِل حتَّى قُتِلَ مسمومًا(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ الْمُسْتَعِينِ:

بعث المعتزُّ إليه ـ أي: المستعين ـ سعيدًا الحاجب، فلما رآه المستعين تيقن التَّلف، وبكى وقال: ذَهَبَتْ نفسي!! فأخذ سعيدٌ يُقَنِّعُهُ بالسوط، ثم أَضْجَعه، وقعد على صدره، وذَبحه(٣).

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥، ٢٠٩).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ٤٣).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ٥٠).

❑ احتِضَارُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ:

كان أحمد بن طولون ملك مصر قد سَجَنَ بكَّار بنَ قُتَيبة قاضي القضاة بمصر، ولما مَرِضَ قبل موته، رَاسَلَ بكَّارًا، وقال: إنا رادُّوك إلى منزِلِكَ فأجبْني. فقال: قل له: شيخٌ فانٍ، وعليلٌ مُدْنَفٌ، والملتقى قريبٌ، والقاضي اللَّه عَجَلَّ!! فأبلغها الرسولُ أحمدَ، فأَطْرَقَ، ثم أقبل يُكَرِّرُ ذلك على نفسه!! ثم أَمَرَ بنقله من السجن إلى دارٍ اكْتُرِيَتْ له، ومات، فأقام بعده أربعين يومًا، ومات بعده[1].

* * *

❑ احتِضَارُ الْمُوَفَّقِ:

إن الأمير الموفق العباسي، أصابه مرض النقرس، وتزايد به المرض حتى تورَّمَتْ رجلُه فعظمت جدًّا، وكان يُوضع له الأشياء المبردة؛ كالثلج ونحوه، وكان يُحمل على سَرِيرِهِ يَحْمِلُهُ أربعون رجلًا بالنَّوْبَةِ، كل نوبة عشرون!! فقال لهم ذات يوم: ما أظنكم إلا قد مَلَلْتُمْ مني، فيا ليتني كَواحِدٍ منكم، آكُلُ كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، وأرقد كما ترقدون في عافية. وقال: في ديواني مئة ألف

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ٦٠٢).

مرتزق، ليس فيهم أحدٌ أسوأُ حالًا منِّي. ثم كانت وفاته[١]!!

* * *

❏ احْتِضَارُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ:

إن المهلب بن أبي صفرة، كان له عِدَّةُ أولاد نجباء، كرماء، فلما حضرته الوفاة جمع أولاده، ودعا بسهام فَحُزِّمَتْ، ثم قال: أترونكم كاسريها مجمعة!! قالوا: لا! قال: أفترونكم كسريها مُفرَّقة! قالوا: نعم! قال: هكذا الجماعة. ثم مات[٢]!!

* * *

❏ احْتِضَارُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى:

المنذر بن ساوى ملك البحرين على عهد الرسول ﷺ أسلم، وحضر عِنْدَهُ في مَرَضِ مَوْتِهِ عَمْرُو بن العاص، فقال له: يا عمرو! هل كان رسول اللَّه يجعل للمريض شيئًا من ماله؟ قال: نعم، الثلث! قال: ماذا أصنع به؟ قال: إن شِئْتَ تصدَّقت به على أقربائك، وإن شِئْتَ على المحاويج، وإن شئت جعلته صدقة من بعدك حبسًا محرمًا.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ٦٨).

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥، ٣٤٥).

فقال: إني أكره أن أجعله كالبحيرة والسَّائبة والوَصِيلة والحام، ولكني أتصدَّق به. ومات!! فكان عمرو بن العاص يتعجَّبُ منه(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ الْمَلِكِ الْمَسْعُودِ:

إن الملك المسعود ملك الحجاز، ومكة، واليمن، عندما حضرته الوفاة، أوصى أنه إذا مات لا يجهز بشَيْءٍ من ماله، بل يسلم إلى شيخٍ من كبار الصالحين والمجاورين ليجهزه، فكفَّنه في إزارٍ كان أحرم فيه بالحجِّ والعمرة سنين عديدة، وَجَهَّزَهُ تجهيز الفقراء على حسب قدرته، وأوصىٰ أن لا يُبْنَى على قبرِهِ شيءٌ(٢).

* * *

❑ احْتِضَارُ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو:

إن الحكم بن عمرو كان أميرًا على خراسان، فأصابوا غنائم كثيرة، فكتب إليه زياد بن أبيه: إن أمير المؤمنين أمر أن تُصْطَفَىٰ له الصفراءُ والبيضاءُ!! فكتب إليه: إني وجدت كتاب اللَّه قَبْلَ كتابِ

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٦، ٣٣٢).
(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥، ٨٤).

أمير المؤمنين، وأمر مناديًا فنادى أَنِ اغْدُوا على فَيْئِكُم، فقسَّمه بينهم، ودعا على نفسه بالموت، فمات[1]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ مَلكشاه:

إن السلطان محمد بن ملكشاه، مرض بالسُّلِّ، وقبل وفاته أمر أن يُعْرَضَ عليه جميعُ ما يملكه، ويقدر عليه وهو جالس في المنظرة، فركب الجيش بكماله، وأحضرت أمواله كلها ومماليكه، حتى جواريه وحظاياه!! فجعل يبكي ويقول: هذه العساكر لا يدفعون عنِّي مثقال ذرة من أَمْرِ ربِّي، ولا يزيدون في عمري لحظة. ثم ندم وتأسف على ما كان منه إلى الخليفة المقتفي، وأهل بغداد وحصارهم وأذيتهم، ثم قال: وهذه الخزائن والأموال والجوهر، لو قبلهم ملك الموت مني فداء؛ لَجُدت بذلك جميعه له. ثم قال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾، ثم فرق شيئًا كثيرًا من تلك الأموال[2]!!

* * *

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٤٧٥).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢، ٢٥٨).

❑ احْتِضَارُ صَلَاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِيِّ:

عند احتِضَار صلاح الدين الأيوبي، استدعى أحدهم؛ ليقرأ عنده القرآن، فانتهى القارئ إلى قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]. فتبسَّم صلاحُ الدِّين، وتهلَّل وجهُهُ، وقال: صحيح. وكان ذِهْنُهُ قبل ذلك غائبًا، ثم مات[١]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ:

إن إبراهيم بن عبدالله بن حسن ـ الخارج بالبصرة على المنصور ـ لما اشتد القتال، جاءَهُ سَهْمُ غَرْبٍ لا يُعرف راميه فوقع في حلق إبراهيم، فتنحى، وأنزلوه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾. أردنا أمرًا، وأراد الله غيره. ثم مات[٢]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صمادح:

إن المعتصم بن صمادح ـ من ملوك الأندلس ـ هاجمه جيش

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١، ٢٨٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦، ٢٢٣).

يوسف بن تاشفين، وهو يعالج الموت، فجعل يقول: نغَّصَ علينا حَتَّى الموت[١]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ شَبِيبٍ:

شبيب الخارجي ـ الهارب من الحجاج ـ لما مات غرقًا، قال: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[٢]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الأَهْتَمِ:

دخل الحسن بن علي على عبداللَّه بن الأهتم يَعُودُهُ في مرضه، فرآه يُصَوِّبُ بصره في صندوق في بيته ويصعده، ثم قال: يا أبا سعيد! ما تقول في مئة ألف في هذا الصندوق، لم أُؤَدِّ منها زكاة، ولم أَصِلْ منها رحمًا؟! قال: ثكلتك أُمُّك، ولمن كنت تجمعها؟! قال: لروعة الزَّمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة!! قال: ثم مات!! فشهده الحسنُ، فلما فرغ من دفنه، قال: انظروا إلى هذا المسكين أتاه شيطانه فحذره روعةَ زمانه، وجفوة سلطانه، ومكاثرةَ عشيرته، مما رزقه اللَّه!!

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٧، ١٠٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤، ١٤٩).

ثم التفت إلى الوارث، فقال: يا أيها الوارث لا تُخدعنَّ كما خُدِعَ صُوَيْحِبُكَ بالأمس(١).

* * *

□ احْتِضَارُ شَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ:

إنه لما احتُضِرَ قال: ليته لم يَسُدْ قومَه، فكم من باطل قد حقَّقْنَاهُ، وَحَقٌّ أَبْطَلْنَاهُ(٢)!!

* * *

□ احْتِضَارُ نِظَامِ المُلْكِ:

الوزير نظام الملك كان من الوزراء الصالحين، وقد عسكر بجيشه بجانب (نهاوند)، عَاشِرَ رمضان، فلما صلَّى المغرب، وجلس على السِّماط وعنده خلق كثير من الفقهاء والقرَّاء؛ جعل يذكر شرف المكان الذي نزلوه من الأرض (نهاوند)، وأخبار الموقعة بين الفرس والمسلمين، وَمَنِ استُشْهِدَ هناك، ويقول: طُوبَىٰ لمن لَحِقَ بهم!! فقام قاصدًا مضرب حرمه، فبدر إليه أَحَدُ الإسماعيلية وطعنه، وكان آخر

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣، ١٤٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣، ٥٣٨).

كلامه أن قال: لا تَقْتُلُوا قَاتِلِي؛ فَإِنِي قَدْ عَفَوْتُ عَنه. وتشهَّد ومات[١]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ الروذاوري:

إن الروذاوري بعد ما صرف من الوزارة، انتقل إلى جوار النبي ﷺ، وأقام بالمدينة، فلما قرب أجله حُمِلَ إلى مسجد النبي ﷺ، فوقف عند الحظيرة وبكى، وقال: يا رسول الله! قال الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ولقد جِئْتُكَ معترفًا بذنوبي وجرائمي. ورجع وَتُوُفِّي من يومه[٢]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ أَحَدِ الْعُمَّالِ:

عن ثابت البناني؛ أنَّ رجلًا عاملًا للعمال جمع ماله، فَجَعَلَهُ في سارية، فلما حضرته الوفاة، أَمَرَ به فنثر بين يديه، فجعل يقول: يا لَيْتَهَا

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (٤، ٣٢٣).

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥، ١٣٦).

كانت بَعْرًا، يا ليتها كانت بَعْرًا[(١)]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ الْوَزِيرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ:

كان عابدًا، وكان يسأل اللَّه كثيرًا الشَّهادة، ويتعرَّض لأسبابها، فاستيقظَ وَقْتَ السَّحر، فقَاءَ، فحضَرَ طبيبُهُ ابنُ رشادة، فسقاهُ شيئًا، فيقال: إنَّهُ سَمَّهُ، فمات، وسُقي الطبيب بعده بنصف سنة سُمًّا، فكان يقول: سَقَيْتُ فَسُقِيتُ[(٢)]!!!

* * *

❑ احْتِضَارُ الْوَزِيرِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ:

كان وزيرًا لصلاح الدين الأيوبي. لما سَمِعَ أن العادل أخذ الديار المصرية، دعا على نفسه بالموت!! خَشْيَةَ أن يستدعيه وزيره ابن شكراللَّه، أو يجري منه في حَقِّه إهانة ـ فقد كان بينهما عداوة ـ فأصبح ميتًا!!! وكان صاحب تهجُّد باللَّيل وأعمال البر!![(٣)].

* * *

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢، ٣٢٥).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠، ٤٢٩).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣، ٢٧).

❑ احْتِضَارُ الْوَزِيرِ عَضُدِ الدِّينِ:

رَأَى فِي نَوْمِهِ أَنَّه معانق لعثمان بن عفان ﷺ، فاغتسل قبل خروجه وهو في طَرِيقِهِ للحجِّ، وقال: هذا غسل الإسلام، فإنَّني مقتولٌ بلا شكٍّ!!

فقتله بَاطِنيٌّ، وبقي الوزير قبل الموت يقول كثيرًا: اللَّه، اللَّه[1]!!

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢، ٧٥).

احْتِضَارُ النِّسَاءِ

أَيـنَ الْأَحِـبَّـةُ وَالْجِيـرَانُ مَـا فَـعَـلُـوا
أَيْنَ الَّذِينَ هُمُو كَانُوا لَنَا سَكَنَا
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأْسًا غَيْرَ صَافِيَةٍ
فَـصَـيَّـرَتْـهُـمْ لِأَطْـبَـاقِ الـثَّـرَى رَهَـنَـا

* * *

❑ احْتِضَارُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

عن ابن أبي مُليكة: أن ابن عباس: استأذن على عائشة رضي الله عنها، وهي مغلوبة، فقالت: أخشى أن يُثْنِيَ عَلَيَّ!!

فقيل: ابن عمِّ رسول اللَّه، ومن وجوه المسلمين!!

قالت: ائذنوا له.

فقال: كيفَ تَجِدِينَك؟

قالت: بخير إن اتقيتُ!!

قال: فأنتِ بخيرٍ! إن شاء اللَّه، زوجةُ رسولِ اللَّه ﷺ، ولم يتزوَّجْ بِكرًا غيرك، ونزل عُذْرُكِ مِنَ السَّماء!!

فلما جاء ابنُ الزبير، قالت له: جاء ابنُ عَبَّاسٍ، وأثنى علَيَّ، وَوَدَدْتُ أني كنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا[١]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ:

قالت زينب بنت جحش حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددْتُ كفني؛ فإن بَعَثَ لي عُمَرُ بكفنٍ، فتصدَّقُوا بأحدهما، وَإِنِ استطعتُم إِذْ أَدليتُمُوني أن تصدَّقُوا بِحَقْوَتي، فافعلوا[٢]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها:

قالت عائشة رضي الله عنها: دعتني أمُّ حبيبة عند موتها، فقالت: قد يكون بَيْنَنَا ما يكونُ بين الضرائر، فَغَفَرَ اللَّه لي ولك ما كان من ذلك!

فقلت: غفر اللَّه لك ذلك كُلَّه، وحَلَّلَكِ من ذلك!!

فقالت: سررتني سرَّكَ اللَّه. وأرسلت إلى أُمِّ سلمة؛ فقالَتْ لها مثلَ ذلك[٣]!!

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ١٨١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٢١٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٢٢٣).

❑ احْتِضَارُ فَاطِمَةَ:

إن فاطمة بنت رسول اللَّه قالت: يا أسماء!! إني اسْتَقْبَحْتُ ما يصنع بالنساء!! أن يُطْرَحَ على المرأة ثوبٌ يصفها!!

فقالت أسماء: يا ابنة رسول اللَّه! ألا أُرِيكِ شيئًا رأيتُهُ بالحبشة؛ فدعت بجرائد رطبة، فحنتها، ثم طَرَحَتْ عليها ثوبًا!!

فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، تُعْرَفُ به المرأة مِنَ الرجل؛ فإذا متُّ أنا فاغسليني أَنْتِ وعليٌّ، وَلَا يدخل عليَّ أَحَدٌ. فَلمَّا تُوُفِّيَتْ غَسَّلهَا عَليٌّ وأسماء[1]!!

* * *

❑ احْتِضَارُ رَابِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ:

لما حَضَرَتْ رابعة العدوية الوفاة، دعت مولاتها، فقالت: يا عبدة! لا تؤذني بموتي أحدًا، وكفِّنيني في جبتي هذه ـ وهي جبةٌ مِنْ شعرٍ كانت تقوم فيها إذا هَدَأَتِ العيون ـ[2]!!

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢، ٣٠).

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢، ٢٨٧).

احْتِضَارُ الشُّعَرَاءِ وَأَهْلِ اللُّغَةِ

مَشَيْنَاهَا خُطًى كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطًى مَشَاهَا
وَأَرْزَاقٌ لَنَا مُتَفَرِّقَاتٌ فَمَنْ لَمْ تَأْتِهِ مِنَّا أَتَاهَا
وَمَنْ كُتِبَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ:

قيل لأبي الأسود الدؤلي عند الموت: أَبْشِر بالمغفرة!
فقال: وأين الحياء مِمَّن كانت له المغفرة(١)!!

* * *

❑ احْتِضَارُ مَالك صَاحِبِ الأَلْفِيَّةِ:

الإمام مالك صاحب الألفية، حفظ يوم موته عِدَّة أبيات.
حَدَّهَا بعضُهم بثمانية أبيات؛ لَقَّنهُ إياها ابنه، وهذا مِنَ الغَرَائِبِ في اعتنائه بالعلم(٢)!!

* * *

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢، ٥٣٩).
(٢) «قيمة الزمن عند العلماء» لأبو غدة (٧٠).

❑ احْتِضَارُ ثَعْلَبٍ:

ثعلب النحوي كان سبب وفاته أنه خرج من الجامع، وكان في يَدِهِ كتابٌ ينظر فيه في الطريق، فصدمته فرسٌ، فألقته في هُوَّةٍ، فأُخرج منها وهو كالمختلط، فَحُمِلَ إلى دَارِهِ على تلك الحال، وهو يتأوَّه من رأسه، فمات ثاني يوم(١)!!

* * *

❑ احْتِضَارُ الْجَاحِظِ:

إن المبرد دخل على الجاحظ في مَرَضِ موته، فقال: كيف أنت؟ قال: كيف مَنْ نصفه مفلوجٌ، ونصفُه الآخر منقرسٌ؟ لو طار عليه ذباب لآلمه، والآفةُ في هذا أني جُزت التسعين!!

وقيل: طَلَبَهُ المتوكل، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل، ولعابٍ سائل(٢)؟!

* * *

---

(١) «قيمة الزمن عند العلماء» لأبو غدة (٤١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١، ٥٢٧).

❑ احْتِضَارُ الْحُطَيْئَة:

عندما حضرته الوفاة اجتمع إليه قومه، فقالوا: أوص!!

قال: أبلغوا أهل (ضابئ) أنه شاعر، حيث يقول:

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِي وَجَدْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ

فقالوا: أوص بغير ذا.

وأخذ يردِّد الشعر.

فقالوا: فما تقول في مالك!!

قال: للأنثى مِنْ ولدي مثل حظِّ الذَّكرِ.

قالوا: ليس هكذا قضى الله!

قال: لكني هكذا قضيت!!

قالوا: فهل تعهد في شيء؟

قال: تحملوني على أتان، وتتركوني راكبها حتى أموت، فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان مركب لم يَمُتْ عليه كَريمٌ قَطُّ. فحملوه على أتان، وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتَّى مات[1].

* * *

(١) «خزانة الأدب» للبغدادي (٢، ٤١٣).

□ احْتِضَارُ ابْنِ الرُّومِيِّ:

كان القاسم بن عُبَيْداللَّه الوزير يخافُ من هجو ابن الرومي، فَدَسَّ عليه من أطعمه خُشْكُنَاكَةً مسمومة، فأحسَّ بالسُّمِّ، فَوَثَبَ!!

فقال الوزير: إلى أين؟

فقال: إلى موضعٍ بعثتني إليه!!

قال: سَلِّمْ على أَبي!!

قال: ما طريقي إلى النار. فبقي أيامًا، ومات[1]؟!!

* * *

□ احْتِضَارُ الرِّيَاشِيِّ:

لما كان من دخول الزنج البصرة، وقتلهم بها مَنْ قتلوا، وذلك في شوال سنة سبع؛ بلغنا أنهم دخلوا على الرياشي ـ العلامة الحافظ شيخ الأدب ـ في المسجد بأسيافهم وهو قائم يُصلِّي الضُّحَى، فضربوه بالأسياف.

وقالوا: هات المال!!

فجعل يقول: أي مال، أي مال!!

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣، ٤٩٦).

حتى مات!! فلم خرجت الزنج عن البصرة، دخلناها، فمررنا ببني مازن حيث ينزل الرياشي، فدخلنا مسجده، فإذا به ملقى وهو مستقبل القبلة؛ كأنما وُجِّهَ إليها، وإذا بشملةٍ تُحركها الريح وقد تمزقت، وإذا جميع خَلْقِهِ صحيح سَوِي، لم ينشق له بطن، ولم يتغير له حال، إلا أن جلده قد لَصِقَ بعظمه وييس، وذلك بعد مقتله بسنتين ـ رحمه الله ـ[١].

* * *

□ احْتِضَارُ مالك بن الريب:

يرثي نفسه، ويصفُ قبره في هذه الأبيات عند موته، حيث كان في بعض الطريق؛ فلما أراد أن يلبس خُفَّهُ، فإذا بِأَفْعَىٰ في داخلها فلسعته، فلما أحسَّ بالموت، استلقى على قَفَاهُ وقال:

فَيَا صَاحِبي رَحْلِي دَنَا الْمَوْتُ فَاحْفُرَا ... بِرَابِيةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا
وَخُطَّا بِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِي ... وَرُدَّا عَلَىٰ عَيْنِي فَضل رِدَائِيَا
وَلَا تَحْسدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ... مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ العرض أَنْ تُوَسِّعَالِيَا
خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبردِي إِلَيْكُمَا ... وَقَدْ كُنتُ قَبلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦، ١٤٨).

تفقَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِد سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمحِ الرُّدينيِ بَاكِيَا
وَأَدهم غربيب يَجُرُّ لجامَهُ إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الطَّبِيبِ المُداوِيَا
وَبِالرَّمْلِ لَوْ يَعْلَمْنَ عِلْمِي نِسْوَةٌ بَكَيْنَ وَفَدَيْنَ الطَّبِيبَ المُدَاوِيَا
عَجُوزِي وَأُخْتَايَ اللَّتَانِ أُصِيبتَا بِمَوْتِي وَبِنْتٌ عليَّ تُهِيجُ البَوَاكِيَا[1]

* * *

❑ احتِضَارُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

لما حَضَرَتْ أبا العتاهية الوفاةُ، أَوْصَى أن يُكتبَ على قبره:

أُذنُ حَيٍّ تَسمَعِي اسمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجَعِي فَاحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
عِشْتُ تِسعِينَ حِجَّةً ثُمَّ وَافَيْتُ مَضْجَعِي
لَيْسَ شَيْءٌ سِوَى التُّقَى فَخُذِي مِنهُ أَوْ دَعِي[2]

* * *

❑ احتِضَارُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ:

أَشْرَفَ أحمد بن يوسف ـ وهو من أفاضل كُتَّاب المأمون وأذكاهم ـ وهو بالموت على بستان له على شاطئ (دجلة)، فجعل

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣، ٢٤٦).
(٢) «العقد لفريد» لابن عبد ربه (٣، ٢٤٨).

يتأمله، ويتأمل دجلة، ثم تنفس وقال:

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْلَا مَوْتُ صَاحِبِهِ
فَفِيهِ مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ لِعَائِبِهِ

فما أنزلناه حتى مات(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ:

قال عروة بن حزام لما نزل به الموت:

مَنْ كَانَ مِنْ إِخْوَتِي بَاكِيًا أَبَدًا فَالْيَوْمَ إِنِّي أَرَانِي الْيَوْمَ مَقْبُوضَا
يُسْمِعْنَنِيهِ فَإِنِّي غَيْرُ سَامِعِهِ إِذَا عَلَوْتَ رِقَابَ الْمَوْتِ مَعْرُوضَا(٢)

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي نُوَاسٍ:

دعا أبو نواس بقرطاس ودواة، وكتب قَبْلَ موْتِهِ:

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَدْعُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنِ الَّذِي يَرْجُو وَيَدْعُو الْمُجْرِمُ

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٥، ٢١٨).

(٢) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣، ٢٤٨).

أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا   فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا   وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ(١)

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي بَكْرٍ الأَنْدَلُسِيِّ:

لما حَضَرَتْهُ الوفاة قال:

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ قَابَلَهَا الرَّدَى   فَرَاغَتْ فِرَارًا مِنْهُ يُسْرَى إِلَى يُمْنَى
قِفِي تَحَمَّلِي بَعْضَ الَّذِي تَكْرَهِينَهُ   فَقَدْ طَالَمَا اعْتَدْتِ الْفِرَارَ إِلَى الْهَنَا(٢)

* * *

❑ احْتِضَارُ أَحْمَدَ بْنِ كُلَيْبٍ الشَّاعِرِ:

إنه عشق غلامًا يقال له: أسلم!! وَمَرِضَ من ذلك مرضًا شديدًا؛ حتى قَارَبَ الموت فقال:

أَسْلَمُ يَا رَاحَةَ الْعَلِيلِ   رِفْقًا عَلَى الْهَائِمِ النَّحِيلِ
وَصْلُكَ أَشْهَى عَلَى فُؤَادِي   مِنْ رَحْمَةِ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ

فقال له رجل: اتَّقِ اللَّه! وَيْحَكَ ما هذه العظمة!!

فقال: قد كان ما سمعت!!

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢، ١٠٣).

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤، ٤٣١).

فخرج من عنده الرَّجُلُ، فما توسَّط الدَّارَ حتَّى سَمِعَ صيحة الموت ـ نعوذ باللَّه من الضلالة ـ[1].

* * *

❑ احْتِضَارُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

إن أبا العتاهية لما حضرته الوفاة.

قال: أشتهي أن يَجِيءَ (مخارق المغني)، ويغني عند رأسي!!

وأوصى أن يُكْتَبَ عند قبره:

إِنَّ عَيْشًا يَكُونُ آخِرُهُ الْمَوْتُ لَعَيْشٌ مُعَجَّلُ التَّنْغِيصِ[2]

* * *

❑ احْتِضَارُ جَمِيل بُثَيْنَةَ:

عن عباس بن سهل قال: دخلنا على (جميل بثينة) وهو يجود بنفسه، فنظر إليَّ، وقال: يا ابن سهل! ما تقول في رَجُلٍ لم يَشْرَبِ الخمر قطُّ، ولم يَزْنِ، ولم يقتل النفس، ولم يسرق. يشهد أن لا إله إلا اللَّه!

قلت: أظنه قد نجا، وأرجو له الجنة، فمن هو هذا الرجل؟!

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٢، ٤١).

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١، ٢٢٢).

قال: أنا!!

قلت: واللَّه ما أحسبك سلمت، وأنت تُشَبِّبُ منذ عشرين سنة بِبُثَيْنَةَ!!

قال: لا نالتني شفاعة محمد، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يومٍ من أيام الدُّنيا، إن كنتُ وضعتُ يدي عليها لريبة!! فمات(١).

* * *

❑ احْتِضَارُ أَحَدِ الشُّعَرَاءِ:

حدث عثمان الجمحي قال: خرجنا ونحن نفرٌ من قريش إلى الوليد بن عبدالملك، وفودًا إليه، فلما كُنَّا بناحية من أرض (السماوة)، نزلنا على ماء، فإذا امرأة جميلة قد أقبلت حتى وقفت علينا.

فقالت: يا هؤلاء! احضروا رجلًا يموت، فاشهدوا على ما يقول، وَمُرُوهُ بالوصية وَلَقِّنُوه!!

قال: فَقُمْنَا معها، فأتينا رجلًا يَجُودُ بنفسه، وكلمناه، فإذا حوله بنون له وصبية صغار، لو غطيت عليهم مكتلًا لغطاهم؛ كأنهم وُلِدُوا في يومٍ واحدٍ. ستة أو سبعة!!

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١، ٣٧٠).

فلما سَمِعَ كلامنا، فتح عينيه، ثم بَكَىٰ، وقال:

يا وَيْحَ صِبْيَتِي الَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ مِنْ ضَعْفِهِمْ مَا يُصْبِحُونَ كُرَاعَا
قَدْ كَانَ فِيَّ لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّنِي لِبَنِيَّ حَتَّى يَبْلُغُونَ مَتَاعَا

قال: فأبكانا جميعًا، فلم نَقُمْ من عِنْدِهِ حتى مات، فدفناه، وَقَدِمْنَا على الوليد، فذكرنا له ذلك، فبعث إلى عياله وولده، فقدم بهم عليه، فأحسن إليهم[١]!!

* * *

(١) «العيال» لابن أبي الدنيا (١، ٣٦٠).

احْتِضَارُ أَهْلِ الضَّلَالَةِ

قَدِّمْ لِنَفْسِكَ تَوْبَةً مَرْجُوَّةً قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَبْلَ حَبْسِ الْأَلْسُنِ
بَادِرْ بِهِ غَلْقَ النُّفُوسِ فَإِنَّهَا ذُخْرٌ وَغُنْمٌ لِلْمُنِيبِ الْمُحْسِنِ

قال الربيع بن معبد: قيل لرجُلٍ: يا فلان! قل: لا إله إلا اللَّه!! قال: اشرب واسقني.

وقيل لرجل بالأهواز: يا فلان! قل: لا إله إلا اللَّه!! فجعل يقول: دة يازدة دو ازدة. تفسيره: عشرة، أحد عشر، اثنا عشر، وكان من أهل الديوان والحساب، فغلب عليه!!

* * *

وقيل لرجل بالبصرة: قل: لا إله إلا اللَّه!! فجعل يقول:

يَا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ لَغُبَتْ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلى حَمَّامِ مِنْجَاب

وكانت قصة هذا الرجل: أن امرأة استدلته إلى الحَمَّام، فَدَلَّهَا إلى منزله، فلما رأت نفسها معه، وليس بِحَمَّام، علمت أنه خدعها؛ فقالت له: يصلح معنا ما يطيب به عيشنا من طعام! فقال: الساعة آتيك بِكُلِّ ما تريدين! فخرج وتركها في الدار ولم يقفلها، ودخل الدار ولم يَجِدْ لها أَثَرًا، فَهَامَ بها، وأكثر الجزع عليها حتى مات!!

قال القرطبي: رأيتُ بعض الحساب وهو في الموت ـ وهو في غاية المرض ـ يعقد بأصابعه ويحسب!!

* * *

وقيل لرجل: قل: لا إله إلا اللَّه. فقال: الدار الفلانية! أصلحوا فيها كذا، والجنان الفلانية! اعملوا فيها كذا!!

* * *

وقيل لرجل: قل: لا إله إلا اللَّه، فجعل يقول: البقرة الصفراء. لأنه غلب عليه حُبُّهَا والاشْتِغَالُ بها!!

* * *

وقيل لبعض السماسرة عند الموت: قل: لا إله إلا اللَّه، فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف.. غلبت عليه السمسرة!!

* * *

وكان بمصر رجلٌ مُلتزمٌ للأذان، وعليه بهاء العبادة، وأنوار الطاعة!! فَرَقِيَ يومًا المنارةَ كعادته للأذان، وكان تحت المنارة دارًا لِذِمِّيٍّ، فاطَّلع فيها فَرَأَىٰ ابنة صاحب الدار!! فَافْتُتِنَ بها، وترك الأذان، ونزل إليها، ودخل الدار، فقالت له: ما شأنك، ما تريد؟!

فقال: أَنْتِ أُريد!

فقالت: لماذا؟ قال: سَلَبْتِ لُبِّي، وَأَخَذْتِ بمجمع قلبي!!
قالت: لا أجيبك إلى ريبة!! قال: أتزوجك!!
قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبي لا يزوجني منك!
قال لها: أتنصَّر!! قالت: إنْ فعلتَ، أَفْعَل! فَتَنَصَّرَ ليتزوجها!!
وأقام معهم في الدار، فلمَّا كان في ذلك اليوم رَقِيَ إلى السطح، فسقط منه فمات!! فلا هو بِدِينِهِ، ولا هو بها[١]!!
وَيُرْوَىٰ أَنَّ رَجُلًا أسيرًا مسلمًا، وكان حافظًا للقرآن، خُصَّ بخدمةِ راهبين، فَحَفِظَا مِنْهُ آياتٍ كثيرة؛ لكثرة تلاوته، فأسلم الراهبان، وَتَنَصَّرَ المسلم!!
وقيل له: ارجع إلى دِينِكَ، فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه.
قال: لا أرجع إليه أبدًا. فَقُتِلَ[٢]!!

* * *

إن ابن السقاء كان قارئًا مجودًا، وقد حضر مجلس الشيخ الهمذاني، فقام فآذى الشيخ، وسأله عن مسألة، فقال له: اجلس؛ فإني أَجِدُ من كلامك رائحة الكفر، وَلَعَلَّكَ تموت على غَيْرِ

---

(١) «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» للقرطبي (٤٣).
(٢) «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» للقرطبي (٤٣).

الإسلام!!

فذهب ابن السقاء في صحبة رسول طاغية الروم، وَتَنَصَّرَ بقسطنطينية، فرآه أحدهم هناك مريضًا على دكة، فسأله: هل القرآن باق على حفظك؟

قال: ما أَذْكُرُ منه إلَّا آية واحدة: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾[1].

* * *

قال ابن كثير: في سنة ثمان وأربعين ومئتين تُوفِّيَ عبدة بن عبدالرحيم - قَبَّحَهُ اللَّهُ -، وكان هذا الشقي من المجاهدين كثيرًا في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات، والمسلمون محاصرون لبلدةٍ من بلاد الروم؛ إذ نظر إلى امرأةٍ من نساء الروم في ذلك الحصن، فهويها، فَرَاسَلَهَا: ما السبيل إلى الوصول إليك؟

فقالت: أن تَتَنَصَّرَ وتصعد إليَّ!

فأجابها إلى ذلك.

فما راع المسلمين إلا وهو عندها!!

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠، ٦٩).

فاغْتَمَّ المسلمون بسبب ذلك غَمًّا شديدًا، وشق عليهم مشقة عظيمة!

فلما كان بعد مدة؛ مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان ما فعل قرآنك؟ ما فعل عملك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟

قال: اعلموا أني نسيت القرآن كُلَّه، إلَّا قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. وقد صار لي فيهم مال وولد[1].

* * *

روى البخاري عن أنس بن مالك، قال: كان رجلٌ نصراني فَأَسْلَمَ، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًا، وكان يقول: لا يدري محمد إلَّا ما كتبتُ له!

فأماته اللَّه فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض.

فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا!!

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١، ٦٨).

فألقوه؛ فحفروا له، فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبحوا وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه!![1].

* * *

عندما كانت الروم تحاصر الأندلس المسلمة، كان لأحد الأندلسيين بنتٌ من أجمل النِّساء، ففقدها، فأخبر أن كبيرًا من رءوس الروم خرج بها إلى سرقسطة، فتبعه أبوها وأقاربها، وشكوه إلى (رذمير) حاكمهم، فأحضره، وقال: كيف تفعل هذا بمن هو في جواري؟!

فقال الرومي: لا تعجل عليَّ؛ فإنها فَرَّتْ إلى ديننا؟!!

فَجِيءَ بها، فأنكرت أبويها وَارْتَدَّتْ[2]!!

* * *

احْتِضَارُ ابْنِ الزَّيَّاتِ:

إن ابن الزَّيات الوزير كان يقول بِخَلْقِ القرآن، ويقول: ما رحمتُ أحدًا قطُّ، الرحمة خَوَرٌ في الطبع.

فَسُجِنَ في قفصٍ حُرِّجَتْ جِهَاتُهُ بمسامير كالمسال.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٦، ١٧٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠، ٤٠).

فكان يصيح: ارحموني!

فيقولون: الرحمة خَوَرٌ في الطبيعة[١]!!

* * *

□ احتِضَارُ ابنِ العَطَّارِ:

إن الوزير ابن العطار كان ذا سطوة، وجبروت، وشدة وطأة، فلما مات، وكُفِّنَ، وأخرج، عَلِمَ الناس به، فَرَجَمُوهُ، ثُمَّ رُمِيَ، فَطُرِحَ من تابوته، وَمُزِّقَ الكفن، وَسُحِبَ بحبلٍ!!

والصبيان يصيحون: باسم اللَّه يا مولانا!! حتى أُلقي في المدبغة[٢].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨٨، ١٧٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١، ٢٨٨).

فهرس الموضوعات

تم الصف والجمع بمكتب الرضا للدعاية والإعلان
١٥ش امتداد رمسيس بجوار وزارة المالية ـ عمارات صف الضباط ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون: ٠٢٣٤٢٨٨٢٩ ـ ٢٣٢٠٢٥٤ (٠٨٢)، محمول ٠١٠١٤٦٠٨٦١
E.MAIL: reda_mesr@yahoo.com

ماذا قالوا عند الاحتضار؟

